والآن

هذه

نعمةٌ

مُذهلة

وليم مكدونلد

مؤلف كتاب عجائب الله

هذه
نِعْمَـةٌ مُذْهِلَـة!

تأليـف وليـم مكدونلد

طبعـة أولى باللغـة العربيـة
يونيـو - حزيران ٢٠٢٥
© جميع الحقوق محفوظة لدار نشر
معهد عمواس للكتاب المقدَّس
ISBN: 972-965-7660-82-9

ولا يجوز نشر أي جزء من هذه الفصول أو بثّها بأية طريقة كانت،
إلكترونيا أو آليًّا بما في ذلك التصوير والنسخ أو تخزينها وإخراجها
بأية طريقة كانت على شبكة الإنترنت من دون إذن خطي مسبق من الناشر.

جميع إقتباسات الكتاب المقدَّس من ترجمة فان دايك والبستاني

The Wonders of God - By William MacDonald
© All rights resirved

Emmaus عمواس
Middle East الشرق الأوسط

هـذه نِعْمَـةٌ مُذْهِلَة!
المحتويات

الفصل	عنوان الفصل	الصفحة
تقديم	هذه نعمة مذهلة	٤
١	مشكلة في غاية الرّوعة	٥
٢	حلٌ فريد من نوعه	٧
٣	الآن الأخبار السارّة	١٢
٤	نعمة الله المذهلة	١٤
٥	كيفية تقدير النعمة	١٨
٦	الإنجيل يحتوي أخبارًا سيئة	٣١
٧	كيفية التعرُّف على المؤمن الحقيقي	٤٠
٨	كلامك يخونك	٤٣
٩	ما الخطأ في الأعمال	٤٦
١٠	أجب على هذا السؤال	٤٨
١١	إساءة إستخدام النعمة	٥٢
١٢	كيف يُوَلِّد الله القداسة	٥٤
١٣	إنها نعمة كلَّ الطريق	٥٩
١٤	الآن دعونا نلخِّص	٦٣

هذه نعمة مذهلة

بعد طفولة وشباب مضطَربِين، إنضم جون نيوتن إلى سفينة والده في التجارة في البحر الأبيض المتوسط. وسقط في هُوَّة الفجور والكُفر. قال أحدهم إنه يستطيع أن يشتُم ويَشتُم لمدة ساعتين دون أن يعيد كلامه

بعد أن طرده والده، عَمِلَ على متن سفن العبيد، حيث أصبح هو نفسه عبدًا لزوجة رئيسه الأفريقي. وعندما كاد أن يموت بسبب عاصفة عنيفة هبَّت في البحر، إلتَفتَ إلى الرَّب وتابَ عن أفعالِه، وأصبَحَ فيما بعد خادمًا للإنجيل الذي كان يحتقره بشدَّة

تجربته الشخصيِّة للخلاص مذكورة في الترنيمة التالية المحبوبة للغاية. ومن خلال العناية الإلهيَّة العجيبة، تصدرت الترنيمة في بعض الأحيان قائمة الترانيم الناجحة في دوائر الموسيقى الشعبية بين الأشخاص الذين لعلهم بعيدين عن نعمة الله المذهلة

ما أعجب النعمة لي، من قلبك الكبير
من بعد ما ذقت العمى، ها إنني بصير

كم من تجارب رأت، عيني في ذي الحياة
تكفي لنا نعمتك، يا ربَّنا الإله

إذ نرتقي دار العلى، تبدو لنا الأعوام،
مع طولها وعرضها، ليست سوى أيام

أشدو لك يا مالكي، ترنيمة الشُّكر
من كل قلبي يصعد، لحنٌ مدى الدهر

النعمة قد وضعت، خوفك في القلب
والنعمة قد حرَّرت، قلبي من الرعب

الفصل الأول

مشكلة في غاية الروعة

كان لـدى الله مشـكلة. حسـنًا، ليـس بالضبـط. إن الله العظيم أقـوى وأحكم من أن يواجـه المشـاكل، فهـو فقـط الـذي يحلُّهـا. ولكـن يبدو لنـا أنَّهُ واجه مشـكلة في اكتشـاف خطـة خلاص البشريـة. نحن ببسـاطة نسـتخدم لغـة المظهر البشري عندمـا نقـول أنه كان لديه مشـكلة

والآن بعـد أن أوضحنـا ذلـك، نتسـاءَل، مـا هي المشـكلة؟ في الواقع، إنها تنشـأ مـن صراع ظاهـري بين اثنـتين من صفـات الله العظيمة، محبَّتـهُ وبرَّهُ

مـن ناحيـة، الله هـو إلـه المحبـة. يحـب الناس بشـغف. إنهـم تتويـج خليقته. ومـن بين كل عجائـب الخليقـة، هـو مسرور بطريقـة خاصـة بالبشريـة، لأنَّـهُ يريـد الصداقـة مـع كل رجـل وامـرأة، صبـي وفتـاة، إلى الأبـد. ولكـن المشـكلة تنشـأ مـن حقيقـة أنَّنـا جميعنـا خُطـاة والله وحـدهُ البـارّ ولا يسـتطيع أن ينظر إلى الخطيَّـة بإستحسـان، ولا يسـتطيع أن يتغـاضى عـن الذنـب، أو يتجاهلهُ. لذا يجـب معاقبـة الخطيَّـة، وأجـرة الخطيَّـة هـي الموت.

إذا كان الخطـاة سيسـكنون مـع الله في الـسماء، فيجـب أن تُمحـى خطاياهـم بطريقـة مـا. يجـب أن تُدفَـع عقوبتهـا. يجب أن يكـون الناس طاهريـن وأنقياء كي يسـكنوا مـع الله. إذن فالمشـكلة هائلـة، فمـن ناحيـة، الله محبـة، ومحبتـه لا تريـد أن يهلـك أحـد. فهـو لا يرغـب في الـهلاك الأبدي لأي شـخص. بـل يريد أن يتمتـع الجميـع بروائـع ومباهـج الـسماء إلى أبـد الآبدين

لكـن الله نـور، وبـرَّهُ يتطلـب التكفير عن خطايا الإنسـان الخاطـئ. فهو يطلب الـرضى الكامـل عـن كل فكـر وكلمـة وفعـل شريـر. لا يمكـن لأي خاطـئ غير مغفـورة خطاياه أن يدخـل إلى الـسماء

والآن كيف يستطيع الله أن يدبِّر خطَّة خلاص تُرضي محبته ولا تساوم في الوقت

نفسه على بِرِّه؟ كيف يمكن أن يكون إلهاً عادلاً ومُخلِصاً في نفس الوقت؟ كيف يمكن أن يكون إلهًا بارًّا ويغفر للخُطاة الأشرار؟ هذه هي المعضلة

قال الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط ذات مرة لأفلاطون، وأيضًا لتلميذه: «ربما يستطيع الله أن يغفر الخطايا، لكنني لا أستطيع أن أرى كيف»

المتطلبات السبعة لأية خطَّة للخلاص

لقد كان الخلاص عمل نعمة لا توصف عندما قرر الله أن يُخلِّص البشرية الساقطة، لكن بمجرد أن اتخذ هذا القرار، كان عليه أن يضع خطةً من شأنها أن تفعل ذلك إرضاءً كاملًا لمحبته وقداسته. وبما أنه يحب الجميع، فإن خلاصه يجب أن يكون:

- متاحًا للجميع، إنه لا يريد أن يستبعِد أي شخص.
- كافيًا للجميع، ويجب أن يلبي إحتياجات كل شخص دون استثناء.
- يستحقه الجميع، لا ينبغي لأي قدر من الشر أن يمنع أي شخص من الحصول عليه.
- بسيط بما فيه الكفاية، لكي يفهمه أي شخص. ليس هناك فائدة من تقديم عرض غير مفهوم.
- متاح لأي شخص للحصول عليه. يجب ألا يكون للإيمان الحقيقي أية شروط لا يمكن تحقيقها من البعض.
- يجب ألا يكون هناك مجال للتفاخر البشري. الكبرياء هيَ الخطيَّة الأساسيَّة، ولن يكون هناك فخرٌ في السماء. ولتجنُّب التفاخر، يجب أن يكون لدى الجميع نفس الأهلية للسماء.
- ومع ذلك فإنَّ الله لا يفرض الخطة على أي إنسان رغماً عنه.

الفصل الثاني

حلٌ فريدٌ من نوعه

لا يوجد سوى حل واحد يمكن تصوره للمعضلة الإلهية. إنه يَكمُن في كلمة «**البديل**». فيجب إيجاد بديل مناسب بطريقة أو بأخرى لدفع مقابل خطايا الناس. معظمنا على دراية بفكرة الإستبدال. في بعض الأحداث الرياضية، يُرسل المدرِّب لاعبًا إلى الملعب ليستبدِل لاعبًا آخر. كان المؤمن العبري العادي في زمن العهد القديم يفهم معنى البديل. فكان عندما يُحضِر حيوانًا إلى مذبح الذبيحة ويضع يده على رأس الحيوان، تنتقِل خطاياه إلى بديل يموت مكانه.

نعم، إن حل المعضلة الإلهية هو أن يموت بديل بدلاً من البشرية الخاطئة. لكن إلى ذلك، هناك شروط يجب أن تتوافر في هذا البديل

يجب أن يجتاز البديل خمسة اختبارات

- يجب أن يكون البديل إنسانياً. وإلا فلن يكون التبادل عادلًا أو متساويًا.
- يجب أن يكون إنساناً بلا خطيَّة. وإلا كان عليه أن يموت من أجل خطاياه.
- يجب أن يكون إلهًا. ذلك أنَّ شخصًا لا متناهيًا فقط يستطيع أن يكفِّر عن الخطايا التي لا تُعد ولا تُحصى من أجل أشخاص لا حصر لهم. ويجب أن تكون قيمة البديل كبيرة بما يكفي لتغطية جميع ذنوب البشرية الماضية والحاضرة والمستقبلة.
- يجب أن يُسفك دمه. لأن الشريعة الإلهية قد قضت، أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة للخطيَّة. الحياة في الدم ويجب أن تكون هناك حياة بدل حياة.
- يجب أن يكون على استعداد. وإلا فإن الشيطان يمكن أن يتهم الله بإجبار ضحية غير طوعية على الموت بدلاً من الخطاة الأشرار.

يسوع وحدهُ هو المؤهَّل في جميع النواحي

إنَّ الشخص الوحيد في الكون الذي توفرت فيه هذه الشروط هو **يسوع المسيح** الذي

- صار إنسانًا في بيت لحم. فالمولود من مريم العذراء هو الإنسان الكامل. (١تيموثاوس٥:٢). كما قال كاتب الترانيم المسيحي الشهير، تشارلز ويسلي، «إن إلهنا تقلَّص إلى شبرٍ، وبشكلٍ غير مفهوم وُلِدَ إنسانًا».
- هو الله (يوحنا١:١) له صفات الله، وألقاب الله، وهو مساوٍ لله الآب في الجوهر.
- إنّهُ بلا خطيَّة. فلا يمكن إنكار سجلّ حياته. لم يعرف خطيَّة، ولم يفعل إثمًا، ولم يكن في فمه غش (٢كورنثوس٢١:٥؛ ١بطرس٢٢:٢؛ ١يوحنا٥:٣)
- سُفِك دمه عوضاً عن الخطاة على صليب الجلجثة. لقد انتفَع كثيرون من سَفك دم يسوع المسيح، إبن الله، الذي يُطهِّر من كلّ خطيَّة. (١يوحنا٧:١)
- لقد فعل ذلك بإرادته، حتى يتمكَّن الخُطاة أن يخلصوا. ولم يكن هناك تردُّد، ولا تراجُع بل على العكس من ذلك، كان هناك خضوع وفرح لمشيئة الله (مزمور٨:٤٠؛ عبرانيين٢:١٢).

إن حقيقة المسيح كبديل لنا مذكورة في جميع أسفار الكتاب المقدس. لقد أعلن إشعياء النبي بوضوح، فقال: «لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا». «لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا... وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا... وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.» (إشعياء٥٣:٤-٦)

لقد صرخ يوحنا المعمدان عندما رأي يسوع قادمًا نحوه، فقال: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ ٱلَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ ٱلْعَالَمِ!» (يوحنا١:٢٩). وقال الرسول بولس، وهو مندهش، «ٱبْنِ اللهِ، ٱلَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي.» (غلاطية٢:٢٠). وأضاف بطرس شهادته: «ٱلَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى ٱلْخَشَبَةِ،» (١بطرس٢:٢٤). وحتى لا نغفل أكد يوحنا رسول المحبة: «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ ٱلْعَالَمِ أَيْضًا.» (١يوحنا٢:٢).

خطة الله للخلاص مؤهلة من جميع النواحي

بما أن الرَّب يسوع يفي تمامًا بجميع متطلبات الذبيحة الكفَّاريَّة، فيمكن لله الآن أن يعلن طريقه الرائعة للخلاص، والأخبار السارة عن نعمته. يمكنه أن يقدم الخلاص كهبة مجانية لجميع الذين يتوبوا عن خطاياهم ويقبلوا إبنه ربًّاً ومخلصاً بعمل إيمان محدد

- لاحظ أن هذا الخلاص متاحٌ للجميع. يقول الإنجيل: «...لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يوحنا٣:١٦) لو كان الأمر يعتمد على المال، فسيتم إهمال الفقراء.
- الخلاص كافٍ للجميع. (١يوحنا٢:٢) في موت هذا المخلص اللَّامتناهي القدرة للتكفير عن كل خطايا العالم بأكمله. إنه ملائم للغاية.
- الجميع مؤهل لهذه الخطَّة لأن الجميع خطاة. (رومية٣:٢٣) إن عدم الإستحقاق هو ما يؤهل أي شخص لخلاص الله. من الجيد أن هبة الحياة الأبدية ليست فقط للمثقفين، أو الأثرياء، أو ذوي المظهر الحسَن، أو المشاهير. وإلا فالبعض منا لن يتأهل أبدًا حتى لو كان أيضًا لأولئك الذين يستطيعون القراءة أو المشي أو الكلام أو النظر، فسيُستبْعَد البعض. الإنجيل وحده يناسب العالم أجمع.
- إنها بسيطة بما يكفي لكي يفهمها أي شخص. لا يوجد أحد بدائي للغاية أو أُمِّيّ. يقول الرَّب يسوع في الإنجيل: «**تَعَالَوْا**». (متى١١:٢٨) لا شيء معقَّد في ذلك. وكما قال ويليام كوبر: «آه، كم هي مختلفة أعمال الإنسان المعقَّدة. خطة السماء السَّهلة، الخالية من التعقيد، وغير المشروطة!»
- يمكن لأي شخص الحصول عليها. (رؤيا٢٢:١٧) الخلاص عند التوبة. يمكن لأي شخص أن يفعل ذلك. إنها بالإيمان؛ يمكن لأي شخص أن يؤمن بالرَّب يسوع المسيح. فلا أحد أكثر مصداقية منه، ولا شيء معقول أكثر من أن يثق المخلوق بخالقه.

- النعمة تستبعد التفاخر. قال أحدهم: «لقد ارتكبت كل الخطايا. المسيح قام بكل الخلاص. أنا أطالب بجدارته وليس بجدارتي. ليس

لـدي الحـقّ في السـماء بسـبب مـا أنـا عليـه أو مـا فعلتـه. المسـيح وحده جـواز سـفري». فـإذا تمكنـا بطريقـة أو بأخـرى مـن اسـتحقاق السـماء مـن خـلال أدائنـا أو مـن خـلال مـا يُفـتَرض، شـخصيتنا الجيـدة، عندهـا سـنغرق في التفاخـر. وسـيكون هنـاك درجات مـن التفاخـر، حيث يحاول كل منهـا التفـوق عـلى الآخر. سـتكون السـماء مسرحًا للمزايدة المسـتمرة والمشـاحنات والحسـد والغـيرة والتنافـس. لـن تكون سـماءً عـلى الإطلاق. (مقتبـس - تشـاك سـميث، «صناعـة خـدام الملـك» .

- لا إكـراه للإنسـان عـلى قبول خـلاص الله. (يوحنا ٣٦:٣) لقـد جعله الخالق وكيـلاً أخلاقيـاً حُـرًّا. قـد يبـدو الأمـر غريبًـا، لكـن ليـس الجميـع يريـد أن يخلُـص. إنَّ الله لا يفـرض السـماء عـلى أحـد، ولـن يأخـذ أحداً إلى السـماء رغـماً عـن إرادتـه. يمكنـك أن تكـون عـلى يقـين مـن أن أي عقيـدة دينيَّة تنمـو بالإكـراه والعنـف والقسـوة، هي ليسـت عقيـدة الدِّيـن الحقيقي.

لذلـك نـرى أن طريق الله للـخلاص هو طريق كامل. إنهـا تلبي جميع الشروط اللازمـة لإرضـاء متطلبـات الله وفي نفس الوقت متاحـة للبشرية جمعاء. إن عمل المسـيح على الصليب مَكَّن الله من أن يمارس محبَّته ممارسـة تامَّة دون المسـاس بعدلـه. يقولها مرنّـم المزمور كالتالي

«الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ إِلْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا.» (مزمور٨٥:١٠).

بالنظـر إلى شـخصية الله، وخطيَّـة الإنسـان، فمـن الواضح أن هـذا هو الطريق الوحيـد الممكـن للـخلاص. لا يمكن أبـدًا أن يخلُـص الناس بـأي طريقة أخرى

يشير ماكس لوكادو:

«لا توجد أي عقيدة عالمية آخرى تقدِّم مثل هذه الرسالة. فالآخرون أجمعين يطالبون بالطقوس الصارمة، والذبيحة الصحيحة، الترنيمة الصحيحة والطقوس الصحيحة، أو الخبرة المناسبة. إنها مملكة المقايضة. إفعل هذا وسيعطيك الله ذلك.

وعليـه فالنتائـج إمـا أن تكـون غطرسـة أو خوفًـا. الغطرسـة إذا كنـت تعتقـد

أنـك حققـت ذلـك، والخـوف إذا كنـت تعتقـد أنـك لم تحقـق ذلـك

إنَّ مملكـة المسـيح هـي عكـس ذلـك تمامـاً. إنهـا مملكة للفقـراء. مملكـة تُمنح فيهـا العضويـة ولا تُـشترى. لقـد وُضعـتَ في ملكوت الله، فأنـتَ مُتبَنًّـى.، وهذا لا يحـدث عندمـا تفعـل مـا يكفي، ولكـن عندما تـعترف بأنك لا تسـتطيع أن تفعل مـا يكفـي فأنـت لا تكسـبه، لكـن ببسـاطة تقبلـه. ونتيجة لذلـك، فإنـك لا تخدِم بدافـع الغطرَسَـة أو الخَـوف، بل بدافـع الإمتنان. (مقتبس من "تصفيـق السماء")

يوافـق جـون مـاك آرثـر على أنـه يوجـد، في نهايـة المطـاف، نوعـان فقـط من الأديـان في العـالم كله

كل ديـن زائـف إبتكـره الـبشر أو الشـيطان هـو ديـن الجـدارة البشريـة. والديانـة الوثنيـة والإنسـانية والروحانيـة وحتـى المسـيحية التقليديـة المُزيَّفـة، كلهـا تقـع ضمـن هـذه الفئـة. إنَّ أتبـاع هـذه الفئـة يركِّـزون على مـا يجـب على النـاس فعلـه لتحقيـق البِرّ أو إرضـاء الإلـه.

أما المسيحية الحقيقية الكتابية وحدها، فهي ديانة الإنجاز الإلهي. الديانات الأخرى تقول: «إفعل هذا»، أما المسيحية الحقيقيَّة فتقول: «لقد تم العمَل» (راجع يوحنا١٩:٣٠). تشترط الديانات الأخرى أن يقدِّم الشخص المتدين نوعًا من الجدارة للتكفير عن الخطيَّة، أو إسترضاء الإله، أو تحقيق هدف القبول بطريقة أخرى. أما الكتاب المقدس فيقول، أن استحقاق المسيح يُزوَّد نيابة عن الخاطئ المؤمن. (مقتبس - جون ماك آرثر الإبن).

يسـأل سـبورجون: مـن كان يظـن أن الحاكـم العـادل يمـوت من أجـل المتمرد الظـالم؟ وهـذا ليـس تعليـمًا للأسـاطير البشريـة أو حـلمًا للخيـال الشـعري. هذا الأسـلوب مـن الكفـارة لا يُعـرَف سـوى بين البـشَر لأنَّـهُ حقيقـة ولم يكـن مـن الممكـن أن يَبتكِـره الخيـال لكـن الله نفسـه أمـر بـه. إنهـا ليسـت مسـألة يمكـن تصورهـا. (مقتبـس في التراث الكتـابي المعمـداني).

الفصل الثالث

الآن الأخبار السارَّة

لعلّ أوضح الأعداد في الكتاب المقدس عن موضوع الخلاص بالنعمة بدون الأعمال هي رومية٤:٤-٥ «أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا». لاحظ الحقائق التالية في هذه الأعداد

عندما يعمل الإنسان وينال أجره، فهو لا يأخذ إلا ما يدين له به صاحب العمل. إنه دَيْن وليس نعمة. ليس هذا هو الحال مع خلاص الله. قد يبدو الأمر صادمًا، إلا أن الله يخلص أولئك الذين لا يعملون، أي الذين لا يحاولون كسب الخلاص أو استحقاقه بأعمالهم، بل يقبلونه كعطية مجانية. فقط بالتوقف عن العمل يستطيع الإنسان أن يدخل راحة الله (عبرانيين٤:١٠)

والصدمة الأخرى هي أن الأشرار فقط هم من يخلصون، وليس أناسًا صالحين، أو أناسًا يبذلون قصارى جهدهم، بل أناسًا على استعداد للإعتراف بأنهم خُطاة

إنتبه إلى تلك الكلمة. «**يؤمن**». هذا هو الأمر الحاسم. إنَّ الإيمان يعني قبول يسوع المسيح ربًا ومخلصًا، ويعني أن نقبله باعتباره هو الذي دفع مقابل خطايانا. هذا يعني الإيمان به باعتباره الرجاء الوحيد للسماء. والشهادة الثابتة للكتاب المقدس هي أن الخلاص هو بالإيمان بالمسيح.

(يوحنا١٢:١؛ ١٥:٣-١٦؛ ٣٦:٣؛ ٢٤:٥ و٤٧؛ ٤٠:٦؛ ٣٧:٧-٣٨؛ ٢٥:١١-٢٦؛ ٣١:٢٠؛ أعمال٣١:١٦؛ رومية٩:١٠؛ غلاطية٢٢:٣-٢٦؛ أفسس٨:٢؛ ١يوحنا١٠:٥-١٣)

عندما يؤمن به الإنسان يخلص. ويمكنه أن يعرف ذلك، ليس من خلال مشاعره، بل من خلال كلمة الله المعصومة من الخطأ

---

١٢ - هذه نِعمةٌ مُذهِلَة

تعال بأيدٍ فارغة

لكي يخلص الإنسان، يجب عليه أن يتخلى عن أي أمل، ليس فقط في خلاص نفسه، بل حتى في المساهمة في خلاصهِ. فإنَّ العديد من كُتَّاب الترانيم يذكرون ذلك جيدًا. خذ على سبيل المثال ترنيمة «Rock of Ages» الكلاسيكية لِToplady:

ليس من عمل يدي ما يلبي مطالب ناموسك؛
هل تعرف حماستي الراحة؟ هل تتدفق دموعي إلى الأبد؟
كلها لا تكفِّر عن الخطيَّة؛ أنت الذي تخلص، أنت وحدك

لا شيء في يدي أحمله ببساطة، أتشبث بصليبك
عاريًا، آتي إليك للإرتداء عاجزًا، أنظر إليك لأجل النعمة
كريهٌ أنا، إلى النبعِ أطير إغسلني مخلِّصي وإلا أموت

يذكرنا ج. بروكتور أن المسيح أنهى العمل من أجل فدائنا:

أيها المتعبُ، العاملُ، المثقل لماذا تتعب هكذا؟
توقف عن عملك فقد تمّ كل العمل
منذ زمن بعيد جدًا
حتى تتمسَّك بعمل يسوع بالإيمان البسيط
«العمل» شيء مميت «العمل» ينتهي بالموت
ألق «عملك» المميت عند قدمي يسوع
قم فيه، وفيه وحده كاملًا ومجيدًا
«قد تمَّ!» نعم، قد تمّ تم كل شيء
يا خاطئ، هذا ما تحتاجه أخبرني، أليس كذلك؟

الفصل الرابع

نعمة الله، المذهلة!

نحن نرنِّم عن النعمة، لكن هل نعرف معناها؟

بداية، ما هي النعمة؟ يمكننا أن نبدأ بالقول أنها فضل الله نحونا. ولكن الأمر أكثر من ذلك. إنها فضله غير المُستَحقّ. الآن دعونا نخطو خطوة أبعد. إنها نعمته غير المستحقة لأولئك الذين يستحقون العكس تمامًا! إنها محيطه الذي لا يُسبَر غوره من اللُّطف والكَرم.

إن كلمتي النعمة والعطية قريبتان من بعضهما البعض، فالنعمة هي عطية، ولهذا السبب، لا يمكن إكتسابها أو استحقاقها. في اللحظة التي تشرح فيها أي فكرة عن التَدَّيُن أو الإستحقاق، تكون قد ألغيَتَ النعمة. إن عطيَّة نعمة الله ذات أبعاد هائلة لدرجة أن أي فكرة حول إستيعابها مستبعدة تمامًا. إنها أمرٌ لا يوصف وغير مفهوم

أما الإنجيل الحقيقي فهو الخلاص بالنعمة، بالإيمان وحده (أفسس٢:٨-٩)، فالمقصود بالنعمة هو أنك لا تستحقها، والإيمان يعني أنه يجب عليك أن تقبلها بعمل محدَّد بإرادتك. لا أحد يفهم الإنجيل حقًّا إلا إذا أدركَ ما هي النعمة.

نعمة الله رائعة. يمكن أن يأخذ زانية تائبة، ويغفر لها ويطهِّرها، ويجعلها إمرأة جديدة، ويجعلها شريكة يسوع في المجد الأبدي. يمكن أن تأخذ لِصًا يحتضر، وتخلِّصه في اللحظات الأخيرة من حياته، وترافقه إلى السماء في ذات اليوم.

تملأ النعمة السماء بقتلة متجدِّدين، مدمني الجنس ومُتعاطي الكحول، واللصوص، والكذابين. لا يوجد خاطئ يتجاوز قدرتها على الخلاص

لقد انتشلت النعمة الملايين من حفرة رهيبة ومن طين الحمأة؛ ووضعت أقدامهم على صخرة، ليجدوا طريقهم، وجعَلت في قلوبهم ترنيمة لتمجيد إلههم. وفي النهاية أخذتهم إلى المنازل الكثيرة في بيت الآب. (مزمور٤٠:١-٣)

يـروي سي إس لويـس، أسـتاذ في جامعـة أكسـفورد (وكامبريـدج) كيـف تغلَّبَ عليـه الـرَّب عندمـا كان يـركل ويصرخ، وكان هـو الأكثر تـرددًا في قبـول الإيمـان بالمسـيح في إنجـلترا كلهـا. فيقـول: «مـن يسـتطيع حقًـا أن يعبـد تلـك [النعمـة] بتهـاون، التـي سـتفتح أبـواب السـماء للضّـال الـذي يُـؤثق بـه وهـو يرفـس ويكافـح ومسـتاء ناظـرًا بعينيـه في كل إتجـاه للحصـول على فرصـة للنجـاة؟»

(مقتبس من كتاب "فوجئت بالفرح")

كان كاتـب الترنيمـة هالـدور ليلينـاس على حـق عندمـا كتـب أن نعمـة يسـوع الرائعـة «أوسـع مـن نطـاق كل تجاوزاتنـا، وأعظـم بكـثير مـن كل خطايانـا وعارنـا»

غالبًـا مـا يضطَّـر كل مؤمـن حقيقـي إلى القول: «أنـا لا أعـرف لماذا أظهر الرَّب نعمتـه لي، أنـا بالتأكيـد لسـت مسـتحقًا لمثـل هذه النعمـة. فالثمن الـذي دفعه مـن أجلي كان بالتأكيـد باهظًـا للغاية»

النعمـة تتجـاوز العقـل والمنطـق، لكنها لا تنتهكـهما. العقل لا يتوقَّـع أبدًا بأن يمـوت الراعـي مـن أجـل الخـراف، أو يمـوت القـاضي مـن أجـل المُـدان، أو، الأمر الـذي لا يصـدق، هـو أن يمـوت الخالـق من أجـل المخلـوق. يُصِرّ المنطق على أن الخاطـئ يمـوت لأجـل خطاياه وأن يتم تنفيـذ عقوبة على من يخالـف الناموس. أمـا النعمـة فتفعـل ما لا يمكـن تصوره.

لقد وصف أحدهم أعجوبة النعمة بهذه الطريقة:

«لا تبحـث النعمـة عـن الأشـخاص الصالـحين الذيـن قـد تستحسـنهم، لأنـه ليـس النعمـة بـل العـدل الـذي يعتمـد على عمـل الـخير؛ ولكنهـا تبحـث عـن الأشـخاص المُـدانين، والمُذنـبين، والصَّامـتين، والعاجزيـن لكي تخلصهـم وتقدسـهم وتمجدهـم»

النِّعمَة خير من الرَّحمَة

عندمـا يُحكَـم مجـرم مُـدان حـكمًا مخفَّفًا، نقـول إن القاضي أظهر لـه الرحمة. فالسـجن سـيكون عـملًا مـن أعمال الرحمة بـدلاً من عقوبة الإعـدام. ففي هذه الحالـة لا ينـال المذنـب الجزاء الذي يسـتحقه.

لكـن النعمـة أفضـل من ذلك بكـثير. فإنها تبرئ الخاطئ المذنب. حيثُ يُنسَـب إليهِ البِرّ، ويُسـكِت صوت الناموس الشـخص المُدان.

النِّعمَة أفضل من العَدل،

إنَّ النعمـة والعـدل متضـادان تمامًـا. يطلـب الإنسـان العدل عندما يقـول: «أنا إنسـان صالـح وأريـد مـا أسـتحقه». إنَّ ما تسـتحقه هـو الجحيـم. لا تطلب من الله العدالـة أبداً!

أمـا النعمـة فتقـول: «أنـا مذنـب، ولكنـي أؤمـن أن المسـيح مـات ليدفـع دين خطايـاي، وأنـا أقبلـه كـرَبّ ومخلِّـص. أنا لا أسـتحق الحياة الأبديـة ولكني أقبلها كهبـة مجانيـة من الله»

لقـد أعطـى يسـوع مـثلاً يوضح الفـرق بين العـدل والنعمة. (متـى٢٠:١٦) كان هنـاك مـزارع يحتـاج إلى عمال لكرمـه. في الصبـاح الباكـر عـرض عليـه بعـض الـعُمال العمـل طـوال اليـوم مقابـل دينـار واحـد، (هـو عملـة فضية). لقـد عقدوا معـه إتفاقًـا محـدّدًا بهـذا المبلـغ. وفي وسـط النهـار ذهـب ليسـتأجر آخريـن فوافقـوا على العمـل مقابـل مـا هـو يرغـب أن يدفعـه لهـم أجـرًا.

وفي نهايـة اليـوم، حصـل الـعمال الأوائـل على دينارهـم. أمـا الآخـرون فقـد حصلـوا على نفـس المبلـغ، لكنـه كان أجـرًا أكبر للسـاعة. لقـد حصـل الرجـال الأوائـل بعـدل. أمـا الآخـرون فقـد حصلـوا بالنعمـة. النِّعمَـة أفضل مـن العدل

مبدأ النِّعمَة أفضَل من الناموس،

يخبرنـا النامـوس مـا الـذي يجب أن يقـوم به الإنسـان لكي يصـل إلى مكانة البرّ التـي تمنحـه مكانـة النعمـة أمـام الله، ثم تطلب منه أن يسـلك كما تسـتحق

يقول الناموس: «إفعلوا فتحيوا». تقول النعمة: «عيشوا وسوف تحيَون».

يقول الناموس: «حاول أن تطيع». لغة النعمة هي «ثق وأطِع».

يـخبرك النامـوس بمـا يجـب أن تفعلـه لكنه لا يمنحـك القـدرة على القيام بذلك ويلعنـك إذا لم تفعـل مـا يطلبـه منـك. لكن النعمـة تعلمك ما يجـب أن تفعله، وتمنحـك القـدرة على القيـام بـه، وتكافِؤُكَ عندمـا تفعل ذلك. لذا فـإن الناموس يحمـل التهديـد بالعقـاب بيـنما النعمة تحمل الوعـد بالمكافأة

الناموس يُدين الأفضل لأنه حتى الأفضل لا يمكنه حفظ الوصايا العشر. أما النعمة فتبرر الأسوأ

الناموس يكشف الخطيَّة. النعمة تزيل الخطيَّة.

الناموس يشجع على التفاخر، النعمة تستبعد التفاخر.

يقول الناموس، «مفروض عليك.. يجب عليك.. ولا يجب عليك». أما النعمة فتقول، «عليك... مطلوب منك» (١تسالونيكي١:٤). لاحظ أيضًا عبارات النعمة مثل «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ» (رومية١٢:١) و«لا تملكَنَّ الخطيَّة» (رومية٦:١٢).

الواحد يقول ما الذي يجب أن تفعله؛ والآخر يخبِر بما تريد طبيعتي الجديدة أن تفعله

بموجب الناموس، لا ينتهي العمل أبدًا. أما النعمة فتخبرنا عن الذي قد تمَّم كل العمل

يطلب الناموس: «تُحِبُّ قريبك...». أما النعمة فتعلن، «هكذا أحب الله...»

يُلقي الناموس أعباء ثقيلة على الناس. أما أعباء النعمة فإنَّها خفيفة. الناموس هو نظام العبودية، والنعمة نظام الحرية. هذا هو الفرق بين الإلزام وبين الإمتياز

ليس هناك رحمة في الناموس. إنه جامد وصعب وغير مرِن. أما النعمة فتخبرنا أنَّ الله غنِيّ في الرحمة

الفصل الخامس

كيفية تقدير النعمة

لن يستطيع أحدٌ أن يُقدِّر النِّعمَة أبدًا إن لم يتعرَّف على أربع حقائق عظيمة وهي: من هو يسوع؛ ما الذي فعله؛ لمن فعل ذلك؟ وماذا تعني معرفته بالنسبة لمن يقبله.

من هو يسوع؟

إنّهُ ليس مجرد إنسان مثلنا، لإنَّهُ:

- الإله الذي ملأ الكون بعجائبه التي تفوق الوُصف.
- الخالق الذي صمَّم آلاف الأعضاء في أجسادنا ووضع الحكمة في أذهاننا، وبه تكوَّنت ووُجدَت كل الأشياء.
- صاحب السيادة، كليّ القدرة، كليّ المعرفة، وكليّ الحضور في كل مكان في آن واحد.
- القدوس الذي يعتبر الخطيَّة غريبة عنه تمامًا.
- الغنيّ بالمجد والجلال والكرامة وكل ما هو مرغوب فيه منذ الأزل. فإنَّ الملائكة ليحجبون وجوههم في حضرته. هو «كَالَ بِكَفِّهِ ٱلْمِيَاهَ، وَقَاسَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِٱلشِّبْرِ، وَكَالَ بِٱلْكَيْلِ تُرَابَ ٱلْأَرْضِ، وَوَزَنَ ٱلْجِبَالَ بِٱلْقَبَّانِ، وَٱلْآكَامَ بِٱلْمِيزَانِ». (إشعياء٤٠:١٢). نحن لا نستحق أن مثله يهتم بنا.

ما الذي فعله يسوع؟

لقد أحبنا بلا سبب وبمعرفة كاملة بكل ما سنفعله ونكون عليه.

لقد ترك أمجاد السماء، حيث كان موضوع عبادة ربوات من الملائكة المقدَّسين ليولَد في حظيرة الماشية النتِنة. «في مذود حقير رقد الذي شيَّدَ السماء المرصَّعة بالنجوم.»

بعد نزوله إلى أوساخ الجنس البشري ووحلِهِ، إحتمل كل أنواع الإساءة من مخلوقاته. تخيَّل أن إبن الله يسمح للناس بتغطيَة وجهه بالبصق عليه. فكِّر به كيف أصبح أغنية السكارى

لقد تألَّمَ كما لم يتألَّم أحدٌ من قبل. لقد كان مجروحًا ومسحوقًا ومثقوبًا، لقد ضُرب على ظهره حتى أصبح مثل أتلام المحراث، حتى أنَّ ملامح وجهه لم تعد تُعرَف وكان معذبوه ينتزعوا شعر وجهِهِ، وكل عظامه خرجت من المفاصل. وكما كتب غراهام كندريك: «الأيدي التي نشرت النجوم في الفضاء استسلمت لمسامير مؤلمة»

كل هذا لا يُقارن بما يعنيه أن يُترك إبن الله من أبيه السماوي. وعندما صلَّى كانت السماء كأنها قد أُغلِقت، وبطريقة لن نفهمها أبدًا. لقد وضع الله دَيْنَ خطايانا على إبنه الحبيب، ثم سكب سيلَ غضبِه حتى أنَّ الرَّب يسوع دفع الدَّين كاملًا

لقد مات كبديل، دافعًا عقاب الخطايا التي ارتكبها الآخرون دون أن يتوقع شيئًا بالمقابل. لقد صُلبَ على الصليب القاسي «حيث مات أعز وأفضل شخص بديلًا عن عالم خطاة هالكين»

عجائب العجائب! مفاجأة كبيرة!
هل يمكن أن يكون العجب أكبر،
ذاك الذي شيَّدَ السماء بالنجوم
ذات مرة نزف ومات من أجلي؟

تضحية مُذهلةٌ مُدهِشة
أربكت كل أفكارنا!
مذهل ومدهش ثمن الشراء
الذي اشترى فداءنا! (المؤلف غير معروف)

كتب ازوولد ساندرز: «أنَّ أكثر العقول ذكاءً في كل العصور قد بحثوا في المعنى الداخلي لموت المسيح على الصليب، ولكن الجميع فشلوا في سبر أعماقه اللامتناهية. ومثل بولس، إنسحبوا بصرخة حيرة: «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ ٱلْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ ٱلِٱسْتِقْصَاءِ!» (رومية١١:٣٣)

قال هارولد سانت جون: «أن نعمة الله، كما تظهر في صليب المسيح، لن تعني لنا شيئًا، إلى أن تخطِفَ أنفاسنا وتصبح أعظم شيء في الحياة»

يدعونا سبورجون لرؤية ما هو عجيب فيه:

«لقد تحمَّل يسوع عقوبة الموت نيابة عنا... هناك تم تعليقه على الصليب! هذا هو أعظم مشهد يمكن أن تراه على الإطلاق: إبن الله وإبن الإنسان! مُعلَّقٌ هناك، حاملاً آلامًا تفوق الوصف - البارّ من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله».

«يا لمجد هذا المنظر! آلام البريء! أُدينَ القدوس! المبارك الأبدي صار لعنة! المُمجَّد الأزلي تحمَّلَ موتًا مهينًا!» (مقتبس من التراث الكتابي المعمداني)

لم يكن المخلص يستحق المعاملة القاسية التي تلقّاها، ونحن لا نستحق الثمن الباهظ الذي دفعه، لقد كان أكثر من اللازم. إذا استطعنا أن نستوعب الأمر إستيعابًا كاملًا، «فسوف تذوب قلوبنا بالشكر، وأعيننا بالدُّموع»

هنا قلوب مليئة لا يمكنها سوى ذَرف الدموع، غارقةٌ في أعماق النعمة المجيدة.

ومن الطبيعي أنَّ موته لم يكن نهاية القصة. لقد قام من الموت بعد ثلاثة أيام. ولو لم يقم، لما كان موته مختلفًا عن موت أي شخص آخر، لكنه كان مختلفًا. لقد كان أول من قام من الموت ولن يموت فيما بعد، وكان أول من قام في جسد ممجَّد. فقيامته أثبتت بقوة أنه إبن الله. لقد كانت قيامته دليلاً على أن الله كان راضيًا تمامًا عن عمله على الصليب. كان ذلك التعهُّد بأن كل من يؤمن به سيُقام من بين الأموات في جسد ممجَّد كجسد قيامة الرَّب

لمن فعل ذلك؟

لقد كنا خطاة فجَّار، تعساء جاحدين وناكرين للجميل، ودودةً غير مستحقة.

لقد كنا ضائعين، عاجزين، ويائسين.

لقد استحقينا الجحيم بجدارة.

لم يكن فينا شيء يُحبُّ.

لم نرغب في أن يكون لنا أي علاقة بالرَّب، ولم نرغب في أن يدير أخ أكبر حياتنا.

في أفضل حالاتنا، كان برُّنا مثل الخِرَق القَذِرة، وفي أسوأ حالاتنا كنا قادرين على

قتل إلهنا. لقد صدَقَ النبي إرمياء عندما قال «اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟» (إرميا١٧:٩) لا أحد يستطيع أن يعرف أعماق فساده

وهنا علينا أن نتوقف ونميز بين الطريقة التي نرى بها أنفسنا والطريقة التي يرانا بها الله. كثير من الناس لديهم تصرفات لطيفة وودية إنهم جيران طيبون ويحضرون الكنيسة بانتظام، ويمدون يدهم للفقراء والمرضى والمعاقين. لا بدّ أنك تعرف أشخاصًا مثل هؤلاء، وقد تكون واحدًا منهم - مواطنًا محترمًا وملتزمًا بالناموس وودودًا ومحترمًا ظاهريًا. ولكن يجب ألا ننسى أبدًا أن معيار الله هو الكمال، وكلنا قد قصرنا عن هذا المعيار. (رومية٣:٢٣) ليس منا من لا يخطئ، ولا أحد منا يريد أن تصبح حياته الفكرية علنية، حتى لو لم نكسِر كلّ الوصايا العشر، لكنّنا قادرون على فعل ذلك. ما نحن عليه هو أسوأ بكثير من أي شيء قمنا به على الإطلاق. قد يكون البعض أفضل من البعض الآخر، لكن الله يرانا جميعًا خطاة يائسين في حاجة ماسة وجدِّية إلى الخلاص

«وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا اَلَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلًا حَسَبَ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، مُنقادين بواسطة إبليس، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، وكنَّا بالطَّبيعة أَبناء الْغضَب، بِدُونِ مَسِيحٍ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلَا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ». (أفسس٢:٢-٣، و١٢)

إننا ذلك النوع من الناس الذين مات المسيح من أجلهم. على أنَّ ما يجعل الأمر أكثر روعة هو أننا لسنا بذوي أهميَّة أبدًا. نحن بالكاد نكون مرئيين عندما يُنظَر إلينا من ارتفاع ٣،٠٠٠ متر. فكم نبدو متناهي الصغر أكثر عند النظر إلينا من بُعد مليارات السنين الضوئية. ومع ذلك فقد أحبنا!

يوافق فيرنون سي جراوندز على ذلك:

«بالنظر إلى التفاهة المطلقة لأرضنا، فمن الصعب تصديق أن خالق الكون يهتم بما يحدث للعائلة البشرية التي وُصِفَت، بسخرية، بأنها تُشبه طَفحًا جلديًا غير مرئيّ على غلاف كوكب مجهري في نظام شمسي من الدرجة الثانية.» ثم يضيف جراوندز: «إنَّ الحقيقة المذهلة هي أن الله يهتم بالفعل». (مقتبس من خبزنا اليومي)

لا يمكن لأحد أن يُقدِّر نعمة المسيح حتى يأتي إلى الصليب، ويقول بكلمات

دي. تي. نايلـز: «لقـد فعلـت ذلـك لـه، وهـو فعـل ذلـك مـن أجلي» (مقتبـس من قـوة القصة، لايتـون فورد)

ماذا تعني النِّعمَة للمؤمن؟

كان مـن الممكـن أن تفعـل النعمـة للمؤمـنين أقـل مما فعَلَتـهُ بالفعـل. على سـبيل المثـال، كان مـن الممكـن أن تمنح حيـاة لا تنتهـي على الأرض دون أمراض الشـيخوخة، وكان ذلـك في حـد ذاتـه أمـرًا رائعًـا، كان مـن الممكـن أن تُخلِّـص النـاس مـن النـار الأبديـة والـذي كان مـن الممكـن أن يكـون أكثر روعـة

ولكن الله لم يكن راضيًا عن أن يمنحنا نصف البركات، فبعد ما بذل أفضل ما لديه في تضحية إبنه، قرر ألا يمنع عنا أغنى ميراث يمكن أن يتصوره عقله. فيما يلي بعض الفوائد المشمولة في إنجيل النعمة:

- **فـرح**. هـذه عاطفـة إبتهـاج خارقـة للطبيعـة ومسـتقلة تمامًـا عـن الظـروف. وعكسـها ليـس الخطيَّـة بـل الحـزن. إنـه ينشـأ مـن العلاقـة مـع الله والـرَّب يسـوع. ولذلـك فهـو ثابـت مثـل تلـك العلاقـة.
- **سـلام**. إنَّ الذيـن تبرَّروا بالإيمان يتمتعون بالسـلام مـع الله. لقد انتهى صراعهم مـع الله القديـر عندمـا رَفعـوا راية التسـليم ثم يـأتي بعد ذلك سـكينة وهدوء واتـزان دنيـوي آخـر ينبع من معرفـة أن الرَّب هو صاحب السـلطان.
- **رجـاء**. يشـير الرجـاء في العهـد الجديـد عـادةً إلى مسـتقبل المؤمن في السـماء. وعـلى عكـس معنى الكلمة في الإسـتخدام الشـائع، فـإن هذا الرجـاء ليس فيه أدنى ذرة مـن الشَّـك لأنـه مبنـي عـلى وعـد الله. إنَّ المؤمـن متأكِّد من السـماء كـما لـو كان هنـاك بالفعل.
- **راحـة**. عندمـا قال يسـوع، «تعالـوا إلي... وأنـا أريحكم»، كان يشـير إلى الراحة الخلاصيـة. إنهـا الراحـة التي تـأتي عندما يتوقف الإنسـان عن محاولتـه القيام بالعمـل مـن أجـل كسـب الحياة الأبديـة، ويعتمد عـلى عمل المسـيح الكامل. ولكـن يسـوع تحدث أيضـاً عن راحة أخـرى: «اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُـمْ... فَتَجِدُوا رَاحَـةً لِنُفُوسِـكُمْ». وهـذه الراحـة التـي نجدها في خدمة الـرَّب وفي الإقتداء به في الوداعـة وتواضع القلب.

- **حرية.** فالحقّ يجعل الناس أحرارًا – ليسوا أحرارًا في الإنغماس في أهواء الجسد، بل أحرارًا في العيش بالبِّر، وإرضاء الله، وخدمته. فالمؤمن يتحرر من سلطان الخطيَّة وعبودية الناموس، لكنه ليس بلا ناموس. بل هو مرتبط بحُبّ للمسيح.

- **هدف في الحياة.** ولن يجد الإنسان السبب الحقيقي لوجوده إلا بعد أن يولد الولادة الجديدة. عندها فقط تصبح الحياة ذات معنى. أخيرًا وُجِدَ شخصًا يعيش من أجله ويموت من أجله. وأخيراً يجد شبَعَهُ في الإلتزام الكامل بإبن الله. أصبح لديه الآن فلسفة للحياة تجيب على الأسئلة القديمة حول الخليقة، وعن وجود الشر، وعن حقيقة الموت. لقد عاد إلى المنزل.

- **إكتفاء.** فكفاية المؤمن ليست أبدًا في نفسه أو في إنجازاته، بل كفايته في المسيح. وكما قال د. مارتين لويد جونز، «ليس هناك ما يمكن لقلبي أن يتوق إليه لكنه أكثر من مكتفٍ».

توفر النعمة كل هذا، ولكن أكثر من ذلك بكثير. ففي اللحظة التي يقبل فيها الإنسان الخاطئ الرَّب يسوع بالإيمان، يصبح

- **حاصلًا على الحياة الأبدية.** (رومية٦:٢٣) هذه العطيَّة التي لا تقدر بثمن هي حياة المسيح ذاتها، هي الحياة الأفضل التي وعد بها المخلص. (يوحنا١٠:١٠). حتى غير المخلَّصين لهم وجود لا نهاية له، لكن المؤمنين وحدهم لديهم المسيح في داخلهم، فهو رجاء المجد. (كولوسي١:٢٧) الحياة الطبيعية تُنال بالولادة الجسدية وتخضع للموت. أما الحياة الأبدية فإنها تأتي بالولادة الجديدة وهي بلا موت. الحياة الأبدية ليست أقل من الإتحاد مع الله. أليس هذا شيء مذهل؟!

- **حاصل على الغفران.** (أفسس١:٧) بمعجزة النعمة، يغفر الله الخطايا ويبعدها كبعد المشرق عن المغرب، ولن يتذكرها أبدًا. كل التهم الموجهة إلى الشخص التائب سُمِّرت على الصليب. (كولوسي٢:١٤) لقد ذهبت وانتهت. ولهذا السبب استطاع صموئيل دبليو غاندي أن يكتب:

أسمع هدير المُتَّهِم لكل الشرور التي فعلتها
أعرفها جيِّدًا، وآلاف غيرها لكنّ الرَّب لا يجد أي منها.

- **حاصل على الفداء.** (١بطرس١٨:١) وهذا يعني أنه بثمن هو دم المسيح الثمين، يتم فداء (شراء) الناس من سوق عبيد الخطيَّة. لم تكن هناك عملية فداء أكثر تكلفة في أي وقت مضى، ولم تكن هناك معاملة أكثر إرباكًا للعقل البشري في أي وقت مضى. يا له من تبادل رائع! لم يسبق أن يُنسَب هذا العدد الكبير جدًا لشخص واحد!

- **حاصل على الخلاص.**(أفسس٥:٢) لم يتم خلاص المؤمنين فقط من العقاب الأبدي في الجحيم؛ لقد خُلِّصوا من النظام العالمي الشرير الحاضر وحُفِظوا لملكوت الله السَّماوي. لقد خُلِّصوا من عقوبة الخطيَّة عندما آمنوا. وهم مُخلَّصون من قوتها من خلال خدمة المسيح الحالية في السماء، وسيَتم خلاصهم من وجود الخطيَّة عندما يصِلون إلى موطنهم الأبدي.

- **حاصل على القبول في الحبيب.** (أفسس٦:١) يرى الله الآن أبناءَه الواثقين في المسيح قد استحقوا أن يُقبلوا على هذا الأساس. فكل من هو في المسيح يقف أمام الله مقبولًا كإبنٍ محبوب في شخص الرَّب يسوع، ويصبح مقرَّبًا من الآب مثل المسيح. لا يهمّ من هو الشخص، بل ما يهم هو إتحاده بالمسيح، ليس بأدائه الشخصيّ، بل بشخص المسيح وعمله من أجله!

- **كامل في المسيح.** (كولوسي١٠:٢) بالرغم من أن هذا الكمال يفوق حدود الإيمان، إلا أنه حقيقي تمامًا؛ الشخص الذي يضع ثقته في المخلص يصبح مؤهلًا تمامًا للسماء. والسبب أن المسيح هو من أهَّلَه. إذا كان الإنسان في المسيح، فهو لا يحتاج إلى شيء أكثر من أهليته لبيت الآب. فالمؤمن يقف في استحقاق المسيح، وليس في استحقاقاته الشخصية. على مقياس من ١ إلى ١٠، سيكون ١٠.

- **محبوب كما أنَّ المسيح محبوب.** (يوحنا١٧:٢٣) ليس فقط المسيحي الحقيقي قريب من الله مثل المسيح فحسب، بل هو عزيز على قلب الله أيضًا. فالآب يحبه بنفس المحبة التي يحب بها إبنه يسوع. لذلك، نحن لا نبالغ عندما نقول أنَّ الله لا يزيد حبُّهُ لأولاده أكثر مما يحبهم بالفعل. هذه الحقيقة الرائعة تستحق أن نعرفها ونؤمن بها ونستمتع بها بشكل أفضل!

• **أصبحَ مُبرَّرًا.** (رومية٥:١) عندما يقف الخاطئ غير التائب أمام الله الديَّان، سيَصدُر حكم واحد فقط - **مذنب!** ولكن عندما يكون المؤمن التائب في قفص الإتهام، تتغير الصورة. لا يزال الله هو الديَّان، ولكن الرَّب يسوع هو الشفيع (محامي الدفاع). عندما تُقرأ الإتهامات، يتقدم المسيح إلى الأمام ويقول، في الواقع، «حضرة القاضي، موَكِّلي مذنب»، ثم يشير إلى الجروح التي في يديه وقدميه وجنبه، ويتابع: «لكنني دفعت ثمن ذنوبهُ على صليب الجلجثة. وأدافع عن مزايا عملي البديلي نيابة عنه». عندها يومئ القاضي بارتياح ويعلن: «المتهم بريء». «يُحسَب بارًّا، لأني لا أجد خطيَّة واحدة تحكم عليه بإرساله إلى جَهنَّم. لقد تمَّ رفض القضية!». هذه هي الحقيقة التي تثلج القلب وهي التي أعطت دبليو. نويل تومكينز الجرأة لطرح التحدي:

آتي إلى مخلصي المبارك أولاً؛ أخذته من تقدير الله له؛
ثبِّت خطية واحدة في يسوع؛ ثم أخبرني أنني غير طاهر!

تحدث روي هيشيون عن رجل إنجليزي ذهب إلى فرنسا في إجازته مع سيارته. كان يومًا يقود سيارته الرولز رويس. لسوء الحظ، يظهر أنه في أحد الأيام كان يقودها على طريق وعر، فانكسر المحور الخلفي للسيارة. لم تتمكن ورشات التصليح المحلية من استبدال المحور، فاتَّصَلَ بالشركة المُصنِّعَة في إنجلترا، فجلبوا له محورًا جديدًا مع ميكانيكيين لأجل تركيبه. بعد أشهر، وعندما لم تصل الفاتورة، كتب الرجل الإنجليزي إلى شركة رولز رويس، وروى الحادثة، وطلب منهم الفاتورة. ردت الشركة: «لقد بحثنا في سجلاتنا بعناية، ولم نتمكن من العثور على أي سجل يشير إلى أن محور سيارة رولز رويس قد كُسِر على الإطلاق». هذا هو الحال مع المؤمن بالمسيح. يستطيع الله أن يبحث في سجلاته بعناية ولا يجد أي سجل لخطيَّة على ذلك المؤمن فيما يتعلق بالذنب والعقاب

أصبحَ مُقدَّسًا. (عبرانيين١٠:١٠) إنَّ التقديس هو أعجوبة عقائدية، تصف

حقيقة أن الله يَفرِز المؤمنين عن الخطيَّة والعالم ، ليصبح منتميًا إلى الله، وبمجرد خلاصهُ، يتم تقديسهُ موضِعِيًا. ثم يتعلَّم أن يحيا في القداسة، بما يتفق مع موقفهم. ومع ذلك، لن يكتمل العمل إلا في السماء

أصبحَ يُخْدَم بالمسيح. (عبرانيين٤:١٤-١٦؛ رومية٨:٣٤؛ ١يوحنا٢:١؛ يوحنا١٦:١٤) بصفته رئيس كهنة عظيم، وشفيع، ومحامي، ومُعين، فإنه يمنح النعمة والعزاء والتشجيع. يشفع لخاصته. عندما يخطئون، يعمل لإعادتهم إلى الشركة، ويدافع عن قضية شعبه ضد إتهامات الشيطان ليل نهار.

يسكن الرُّوح القُدس في داخله. (يوحنا١٤:١٦-١٧) يدخل الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس جسد المؤمن الذي أصبح إبنًا لله في لحظة ولادته الجديدة. إنه لأمر مدهش ولكنه حقيقّيّ وهو أنَّ هذا الجسد البشري الضعيف أصبح من الآن فصاعدًا هيكلًا للروح القدس. الروح هو قوة القداسة والعبادة والخدمة. إنه مسؤول عن التغيير المذهل الذي يميز حياة المؤمن المقدَّس (المفروز لله)

أصبحَ معتَمِدًا بالروح. (١كورنثوس١٢:١٣). إنَّ خدمة الروح تجعل أولئك الذين يتوبون ويؤمنون بالمسيح أن يصبحوا أعضاء جسده وذلك في لحظة حصولهم على الخلاص، ينال المؤمن الإمتياز الإستثنائي بأن يصبح عضوًا في أعظم مجتمع على وجه الأرض، ألا وهو الكنيسة، وأنَّ المسيح رأسًا لهذا المجتمع الجديد ولجميع المسيحيين الحقيقيين الأعضاءً فيه. لا توجد كلمات يمكن أن تَصِف الرِّباط الوثيق الذي يوحِّد أَتباع المسيح به وبَعضهم البَعض

أصبحَ مختومًا. (أفسس١:١٣) بالإضافة إلى خدمات الروح السابقة، صار لنا أيضًا كختمٍ، مما يدُلَّ على المُلكيَّة وضمان الحياة الأبديَّة. فكل خاطئ إشتُريَ بالدَّم له هذا الختم

أصبحَ لهُ عربون الحياة الأبديَّة. (أفسس١:١٤) بما أن الروح القدس يسكن في المؤمن، فهذا ضمان الميراث بأكمله، بما في ذلك الجسد الممجَّد في السماء. وبالتالي فإن العربون هو دفعة مقدمة أو تعهد مُسبَق. يُستخدم خاتم الخطوبة أحيانًا لتوضيح عربون الروح

أصبحَ ممسوحًا. (١يوحنا٢:٢٧) عندما يخلُص الإنسان، فإنه يَقبَل مَسحَة الروح القدس. وهذا يشمل خدمتين مهمتين.

- **أولاً،** هناك خدمة الروح القدس التعليمية والإرشادية التي تمكِّن المولود ولادة جديدة أن يميِّز بين الحَقّ والكَذِب.
- **ثانيًا،** تم فرزه للخدمة تمامًا كما مُسِح الأنبياء والكهنة والملوك في العهد القديم.

أصبحَ قادرًا على القدوم أمام الله بالصلاة. (أفسس٢:١٨) يا له من أمر مذهل يحبس الأنفاس أنَّ أقَل شخص في ملكوت الله لديه إمكانية الوصول الفوري والمتواصل إلى سيد الكون! بالإيمان ينتقل من الأرض إلى غرفة العرش في السماء، قُدْس الأَقداس، ويستمع إلى ملك الملوك ورب الأرباب. لم نحصل على هذا الإمتياز بثمن بخس؛ لقد تم شراؤها بدم يسوع. (عبرانيين١٩:١٠)

للمساعدة في جعل حياة صلاة المسيحي أكثر حيوية، إقترح برنارد كليرفو منذ قرون، ما يلي

صلِّ هكذا، كأنك تَرفع وتُقدَّم أمام الله في العرش الأسمى، حيث آلاف الآلاف يخدمونه

أصبحَ له مواطنة جديدة. (فيلبي٣:٢٠) تتضمن الولادة الجديدة تغيير المواطنة – من أرضية إلى سماوية. الأشخاص الذين كانوا من سكان الأرض في السابق أصبحوا بعد خلاصهم غرباء ونزلاءعلى الأرض. إنهم يعترفون بحاكم جديد ويطيعون القوانين العُليا، لكنهم في الوقت نفسه يحترمون السلطة البشرية ويطيعون القوانين المحلية، طالما أنها لا تتعارض مع القوانين العُليا. «بلدهم القديم» محكوم عليه بالدَّمار. بلدهم الجديد يبقى إلى الأبد

أصبحَ من أبناء الله، (يوحنا١:١٢) يتضمن الخلاص أيضًا تغيير النَّسَب. شهادة ميلاد المفديِّين تذكُر الله كأبٍ. فكِّر في الأمر – ليس إبن رئيس أو ملك، بل إبن خالق الكون وحافظه. لا يوجد شرف أسمى من هذا!

أصبحَ من أولاد الله. (غلاطية٤:٦) سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، يُدخل المؤمنون إلى العائلة الإلهية كبالغين، مع كل إمتيازات ومسؤوليات البالغين. إنهم لا

يُعاملـون مثـل الأطفـال الذيـن تحت وصايـة قانونية، بـل حرية الأبنـاء والبنات المولوديـن أحرارًا

أصبحَ وريـث الله ووارثًـا مع المسـيح. (رومية٨:١٧) العناوين واضحـة بذاتها، ولكـن عُمقهـا يغيـب عن إدراكنـا. من يسـتطيع أن يقيس غنـى الله الآب وابنه؟ المجمـوع سـيكون مـذهلًا. ومـع ذلـك فهـذا مقيـاس الميراث الـذي يحصـل عليه كل مـن يُحِـبّ الرَّب

أصبحَ قدِّيسًـا وكاهنًـا ملوكيًّـا. (١بطرس٢:٥، ٩) كان كهنـوت العهـد القديـم محصـوراً في قبيلـة واحـدة وعائلـة واحدة. ولكـن في العهد الجديـد، كل المؤمنين هـم كهنـة تتمثَّـل وظيفتهـم بشـقَّين. **أولاً،** أن يقدِّمـوا لله محبتهـم وحياتهـم وتسـبيحهم وممتلكاتهـم وخدمتهـم. ثـم يُعيَّنـون «لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ ٱلَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ ٱلظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ ٱلْعَجِيبِ»

أصبحَ أكثر مـن منـتصِر. (رومية٨:٣٧) كيـف يمكـن لأي شـخص أن يكـون أكثر مـن منـتصر؟ فإمـا أن ينـتصر أو لا ينـتصر. كيـف يمكنـه أن يفعـل أكثر مـن الإنتصـار؟ الفكـرة هنـا هـي أن المؤمنين منـتصرون بالفعل، حتـى وهم في خضم المعركـة، لأنَّ النتيجـة مُؤَكَّـدة. وهم على الجانـب الفائز. وفي أي وقت معين، قد تبـدو الأمـواج تهيـجُ ضدَّهـم، ولكـن من المؤكـد أن المدّ سـينتصر

أصبحَ مقـرَّرًا أن يكـون مشـابهًا لصورتـه. (١يوحنـا٣:٢)، أن عروسـه الطاهـرة تكـون معـه إلى الأبـد. أطلـق داربي على هـذا إسـم «الفكـر الـذي يتجـاوز كل فكـر» - ليتحـول إلى الصـورة الأخلاقيـة والروحية للرَّب. فسـأله وهو في دهشـة

وهل الأمر كذلك - سأكون مثل إبنك؟
هل هذه هي النعمة التي حصَّلها لي؟
يا أبا المجد (فكْر يفوق كل فكْر!)
في المجد آتي مثل شبهِهِ المبارك!

باختصار، يكون المؤمن: **مبارَكًا بكل البركات الروحية في المسـيح.** (أفسـس١:٣)

كما قال سي إتش سبورجون، أحد أصدقاء الله، «دعونا نتوقف هنا ونسجد. يجب أن أفعل ذلك على الأقل؛ لأن نفس عينيَّ تؤلمانني، كما لو كنت أحدق في الشمس». وباقتباس كلمات إحدى شخصيات جين أوستن، «على المؤمنين أن يتعلموا كيف يتحملوا مع كونهم أكثر سعادة مما يستحقون».

نعمة إلى أقصى الحدود.

في الواقع، إن المؤمن بالمسيح يكون في واقع الأمر في وضع أفضل مما سيكون عليه لو لم تدخل الخطية أبدًا. وبعبارة أخرى، فهو في وضع أفضل في المسيح منه في أي وقت مضى في آدم غير الساقط. صدَقَ القول التالي

في المسيح يفتخر أبناء آدم،

ببركات أكثر من التي فقدها والدهم.

لم يكن آدم في براءته الأصلية مقبولاً في المحبوب أو كاملاً في المسيح ولن يكون أبداً إبناً لله، ولم يكن له الرجاء في بيت في السماء، أو في أن يكون مشابهًا لصورة المسيح. ولم يكن ليتمتَّع أبدًا بالبركات المذكورة أعلاه

فلو أنه لم يخطئ، لكان متأكداً من استمرار الحياة على الأرض. لكنه لم يكن لينال حياة المسيح ولم يكن ليسكن فيه الروح القدس بشكل دائم. فهو لم يكن ليتمتع أبداً بالإمتيازات التي يتمتع بها الخاطئ الذي خلُصَ بالنعمة.

لقد كان هناك دائمًا إحتمال فظيع بأن يقع في الخطية وبالتالي يُدان. كان التهديد بالموت معلقًا على آدم وحواء مثل السيف. كما نعلم، فإن آدم أخطأ، وجلبت خطيته سيلًا من الحزن والمعاناة والموت. لكن الله أرسل إبنه ليمنحَ طريق الخلاص، ولكي يُغنِي المؤمنين بما يفوق الحسابات البشرية. لذا فإن الخُطاة الذين غُفِر لهم هم أفضل حالًا مما لو أنهم لم يخطئوا أبدًا. «...حَيْثُ كَثُرَتِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱزْدَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ جِدًّا» (رومية٥:٢٠)

نعمة الله هي نعمة من البداية إلى النهاية، هائلة، تخطف الأنفاس، لا يُسبَر غورها، كثيرة، وأعظم من كل خطايانا

الفصل السادس

الإنجيل يحتوي أخبارًا سيئة

هنالك إنجيل من نوع آخر، هو إنجيل كاذب ليس فيه أخبارْ سارَّة إطلاقًا، ومع ذلك فهي الرسالة التي يؤمن بها معظم الناس في العالم.

يقال أنَّ هذه الرسالة تقول أن الناس الطيبين يذهبون إلى السماء، وأنك تكسب خلاصك بالأعمال الصالحة أو تستحقه بالأخلاق الحميدة. إنَّ معظم ديانات العالم تُعلِّم هذه العقيدة بشكل أو بآخر. يبدو الأمر مناسبًا للناس، لكن الكتاب المقدس يقول إنه ينتهي بالموت، أي الإنفصال الأبدي عن الله، (أمثال١٤:١٢)

في الواقع هذه العقيدة ليست جديدة. بل يعود تاريخها إلى جنة عدن. حاول كلٌ من آدم وحواء أن يستُرا عريهما بسبب خطيَّة العصيان، بمآزر من أوراق التين. لقد أرادا أن يؤهِّلا نفسيهما لحضور الله من خلال شيء يمكِّنهما القيام به.

لكن كان على الله أن يبين لهما أن الأمر كله كان خطأً كبيراً. فألبسهما جلود حيوان. وللقيام بذلك، كان يجب أن يموت حيوان، وكان لا بد من سفك دمِه للتكفير عنهما. وعليه فإنَّ كل ما كان على آدم وحواء فعله هو قبول تدبير الله بالإيمان. كان الله يعلِّمهما أن الخطيَّة تفصلهما عنه، وأن الإنسان لا يستطيع سد الفجوة، وأن الخطاة لا يمكنهم الإقتراب من الله إلا على أساس ذبيحة بديلة يُسفَك دمها

كان ينبغي لقايين أن يتعلم من أخطاء والديه. وبدلاً من ذلك، قدم لله ذبيحة غير دموية، كانت من نِتاج تعبه. لقد كان هذا رفضًا قاطعًا لطريق الله ورفضًا متعمدًا لكلمة الله. وقد أدّى ذلك إلى اللعنة الأبدية. يبدو الإنجيل الكاذب صحيحًا ومقبولًا لدى مثل هؤلاء الناس، لكنه يؤدي إلى الموت

ومع ذلك، وبعد كل هذه القرون، لا يزال هذا الدِّين هو الدِّين المفضل.

قال رئيس الولايات المتحدة، عندما توفي مساعده القانوني رقم ٢: «آمَل من كل قلبي أن تنال روحه النعمة والخلاص اللذين اكتسبهما في حياته الطيبة وبأعماله الصالحة»

قال قسٌّ مشهور، كان قد اشتهر بتأكيده على قوة التفكير الإيجابي: «إذا فكرنا بأفكار جيدة فقط ونقوم بعمل الخير، فإننا نؤمن بِأن الجميع سيذهبون إلى السماء».

يمكن لواعظ أمين أن يحاضر لمدة أربعين دقيقة عن أن الخلاص هو بالنعمة بالإيمان وليس بالأعمال. وفي النهاية يقف عند الباب ويسأل الزائر: «هل أنت مخلَّص؟» فيجيب الزائر: «أنا أبذل قصارى جهدي»

سأل مؤمن مسيحي أحد معارفه الجُدُد: «هل أنت مخلَّص؟» أجاب: «كيف يمكن لأحد أن يعرف؟». لقد أدرك أنه إذا كان الخلاص بفعل الصفات الحميدة، فلا يمكن لأحد أن يتأكَّد من أنه مؤهَّل، لأن هدف الأهليَّة غير محدَّد أبدًا وصعب المنال

إن الخلاص بالأعمال متأصل بعمق في العقل البشري لدرجة أنه يتطلَّب عملاً خارقًا لطبيعة روح الله لسحقه. يريد الناس أن يصدقوا أنهم قادرون على تخليص أنفسهم أو على الأقل المساهمة في خلاصهم أنفسهم لأن هذا يلبي إفتخارهم. إنهم لا يحبون أن يَعتبِروا أنفسهم موضِع نعمة، أو، كما يقولون، «صَدقَة». إنه أمرٌ مُسيء لهم أن يظنوا أنهم لا يستطيعون كسب السماء بمجهودهم الشخصي. ولذلك فإنهم يتمسكون بقوة بفكرة الخلاص من خلال الأعمال الصالحة أو الصفات الحميدة حتى أن العديد من الناس بعد أن يخلصوا بالنعمة، فإنهم يرتدُّون مرة أخرى إلى فكرة أنه يجب عليهم العمل للحفاظ على أنفسهم مخلَّصين. نجد أنَّ الكنيسة اليوم مختمرة بهذه الهرطقة

إنَّ الأفكار القريبة جدًا من هذا الإنجيل الكاذب هي حفظ الناموس والأعمال بكلمات أخرى، الخلاص هو دين يدين الله به للخاطئ بسبب حفظه للناموس أو لأجل أعماله الجديرة بالتقدير كما يظُنّ.

إنَّ الفكـرة الخاطئـة في هـذا الصـدد هـي أن الله الديَّـان يحمـل ميزانًـا حيـث يضـع أعمال الإنسـان الصالحـة في كفَّـة، وسـيئاته في الكفَّـة الأخـرى. أمـا الكفَّـة الأثقـل فهـي مـا يحدِّد مصيره؛ إمـا للسماء أو للجحيـم. وبطبيعة الحـال، فإنه لا يسـتطيع أن يعـرف إلى أن يمـوت إلى أي جهـة سـتنقلب كفـة الميـزان

هـذه ليسـت نعمـة. النعمـة والأعمال متعارضـان تمامًـا. ففـي اللحظـة التـي تحـاول فيهـا مزجـهما معًا، فإنها لا تبقـى نعمة. (رومية٦:١١) على سـبيل المثال، ليـس مـن النعمـة أن نقـول إننـا نخلـص عندمـا نعيـش حيـاة مسـيحية. وليـس مـن النعمـة أن نقـول إننـا خلُصنـا بأي نـوع مـن الأعمال. وليس مـن النعمة أن نقـول إننـا مخلصـون بالإيمـان والأعمال. إنَّ النعمـة تعلـن أننـا نخلـص بالإيمـان دون إضافـة أي شـيئ آخـر

الشاب الغني الحزين

كان هنـاك شـابٌ غنـيّ يؤمـن بالحصـول على الخلاص بـالأعمال، (لوقـا١٨:١٨) فجـاء هـذا إلى يسـوع وسـأله: «أَيُّهَـا ٱلْمُعَلِّـمُ ٱلصَّالِـحُ، مَـاذَا أَعْمَـلُ لِأَرِثَ ٱلْحَيَاةَ ٱلْأَبَدِيَّـةَ؟». أراد هـذا الشـاب حقًـا أن ينـال خلاصه.

عندمـا اقتبـس يسـوع سـتًا مـن الوصايا الـعشر ليبين له إسـتحالة ربـح السماء بـالأعمال، تفاخـر الشـاب بأنه حفـظ كل تلك الوصايا. لكنـه في الحقيقة لم يفعل ذلـك. فهـو لم يحـب قريبـه كنفسـه ولـو كان كذلـك لتقاسـم ثروته مـع الفقراء. وإذ كان الطمـع خطيَّتـه المحيطـة بـه. بـكَسرِه إحـدى الوصايا الـعشر، يكون قد كَسَر الوصايـا الـعشرة برمَّتهـا، لأنها سلسـلة من عشر حلقات، لذلـك كان بحاجة إلى أن يُخَلَّـص بالنعمـة، وليس بالأعمال

تذاكر مزورة إلى السماء

إن أسـوء الهرطقـات في العقـل الـبشري هي قولهم أن الـخلاص يكون بالأعمال، وأن الصالـحين يذهبـون إلى الـسماء. وإليـك عينة من الأعمال التـي يعتمد عليها الناس كتذكـرة إلى الجنة

الفرائض والشعائر الدينية.

- **المعموديـة.** ينبغـي أن يكـون مفهومًـا أن هـذه الفريضـة مخصصـة لأولئـك الذيـن تـم خلاصهـم بالفعـل. إنـه إعـتراف علنـي بالمسـيح، وإتحـاد معه في موتـه ودفنـه وقيامته.
- **التثبيـت.** إنـه تقليـد كنـسي، ولم يتـم العثـور عليـه في أي مـكان في الكتـاب المقـدس، وبالتـالي لا يمكـن أن يكـون وسـيلة للخـلاص.
- **الإعـتراف.** لا يمكـن أن تُغتَفـر الخطايـا بالإعـتراف لإنسـان. مـا يَنتَظـر الله أن يسـمعه هـو التوبـة والإعتراف بيسـوع المسـيح ربًـا ومخلصًا.
- **العشـاء الرَّبَّـاني.** هـذا أيضًـا مثـل المعموديـة، فإنَّـه فريضـة لأولئـك الذيـن قـرروا أن يكونـوا مسـيحيين. إنهـا تُمـارَس كذكـرى للـرّب في موتـه.
- **الكفَّارة.** هذا عمل يحاول الشخص فيه التكفير عن خطاياه بأعماله. ولكن هذه الكلمة الموجودة في العهد الجديد نُسِبَت لعمل الفداء الذي قدمه المسيح بموته كفَّارة لخطايانا. إنَّ الله يريد من الخطاة أن يتوبوا، أي أن يعترفوا بخطاياهم ويلجأوا إليه طالبين المغفرة ليكون هو كفارتهم. (١يوحنا٢:٢؛ ١يوحنا٤:١٠).
- **عضوية الكنيسة.** العضوية الوحيدة التي يعتبرها الرَّب هي العضوية في الكنيسة الحقيقية، أي جسد المسيح، المكونة من جميع المؤمنين الحقيقيين. إنها ليست وسيلة للخلاص بل نتيجة للإيمان بالمسيح أوّلًا وحصوله على الخلاص.
- **الحضـور المنتظـم لخدمـات الكنيسـة.** ورغـم أنهـا مثـيرة للإعجـاب في حـد ذاتهـا، إلا أنهـا ليـس لهـا أي قيمـة مـن أجـل الحصـول عـلى الخـلاص، لكـن يُعتـبر الحضـور المنتظـم مهِـمّ للذيـن نالـوا الخـلاص.
- **العشـور.** إن إعطـاء غـير المؤمن نسـبة معينة من دخله للكنيسـة أمر عديم الفائـدة فيـما يتعلـق باسـتحقاق خلاص الله. بصراحـة، الله لا يريـد ماله، بل يريـد أن يرى توبتـه وإيمانه أولًا.

- **الصيام.** قد يكون إنكار الذات مفيدًا لصحة الإنسان، وبالنسبة للمسيحي قد يساعد في التركيز الروحي. أما بالنسبة لغير المؤمن، فهو غير صالح كوسيلة لإرضاء الله.

- **الصلوات.** الصلاة التي ينتظر الله أن يسمعها من شخص غير مخلص هي: «ارحمني يا الله أنا الخاطئ، وخلِّصني من أجل خاطر يسوع».

- **مسْحَة الزَّيْت المقدَّس.** هذا ما يُسَمَّى بِسرّ الشفاء، عندما يُصلِّي الكاهن من أجل شفاء وخلاص الشخص الذي يعاني من حالة صحيَّة حرجة. ولكن من المؤسف أنه ليس لهذا السِّر أي سلطان كتابي ولا يضمن الحياة على الأرض ولا الحياة الأبدية.

حفظ الناموس

- **الوصايا العشر.** وكما سنرى لاحقاً، فإن غرض هذه الوصايا هو كشف الخطيَّة وليس غسلها.

- **القاعدة الذهبية.** إنها سياسة مثالية أن تفعل للآخرين ما تحب أن يفعلوه لك. لكن طاعته طاعة كاملة هي أدبيًا فوق قدرة الإنسان.

- **أي مجموعة أخرى من القواعد.** يؤكد العهد الجديد في تعليمه أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بفعل أي شيء جديراً بالتقدير لخلاص نفسه.

صِفات حميدة

- **قيادة حياة صالحة.** مهما كانت حياتنا صالحة، فإنها لا ترقى إلى مستوى معيار الله، الذي هو المسيح إبنه. خطيَّة واحدة تجعل الإنسان خاطئًا، وأجرة الخطيَّة هي الموت.

- **أن تكون أفضل من الآخرين.** يمكن لأي شخص تقريبًا أن يقول إنه أفضل من كلّ شخص آخر. هناك دائمًا شخص ما في أسفل الجَدوَل. آسف، إنَّ هذا التفاخر لن يجدي نفعًا، فلو كان ذلك كافياً، لكان الجميع قد خلصوا باستثناء أسوأ الخطاة على الإطلاق.

أعمال صالحة

- **تبرعات للجمعيات الخيرية.** تتطلب الرحمة أن نشارك الآخرين الذين لديهم إحتياج. إنَّ الحديث ضد العطاء للجمعيات الخيرية سيكون بمثابة الحديث ضد الأمومة. لكن النقطة المهمة هي أن هذه الأمور لا تستطيع التكفير عن الخطايا.
- **بذل قصارى الجهد.** يجب على الجميع أن يفعلوا ذلك، لكن الأعمال الصالحة ليست هي المخلِّص، بل فقط يسوع هو المخلِّص.
- **الوراثة.** أن يولد الإنسان من أبوين صالحين. فهذا لا يخلِّصه وليست المسألة مسألة وراثة، ولا نَسَب في الدم، بل يتَطلَّب من كل فرد أن يقوم بتجاوُب شخصي مع رسالة الإنجيل.
- **وجود قسيس أو كاهن أو شيخ في الأسرة.** لا أحد يصبح مؤمنًا من خلال دعوة شخص آخر. نحن لا نخلُص من خلال إرتباطاتنا البشرية.

أمور أخرى

أن تكون أبًا أو أمًا صالحين، أو أن تكون قد قمت بتربية أسرة صالحة. وهذا أمر يستحق الثناء، لكنه ليس كافيًا. نحن لا نخلُص بأي عمل صالح يمكننا الإعتماد عليه أو القيام به، ولا يمكن لأي من هذه الأمور، أو أي مزيج منها أن يخلِّص شخصًا ما. لو استطاعوا أن يخلصوا، لما كان من الضروري أن يموت المسيح. إنَّ السبب الذي يكمن وراء موته ودفنه وقيامته هو لأنه لا يوجد طريق آخر للخلاص إلا بالإيمان به

إذا نظرت إلى القائمة، ستجد أنه لا يوجد عنصر واحد في متناول أي إنسان في العالم من أجل نيل الخلاص. في الواقع، لا يمكنك التفكير في أي ما يسمى بالعمل الصالح الذي يمكن أن يؤديه كل شخص دون استثناء. عندما تفكر في الأشخاص الذين ليس لديهم أذرع أو أرجل، أو أولئك العميان أو المفلسين أو الذين هم على وشَك الموت، ستدرك أن الخلاص بالأعمال هو إنجيل سيئ وليس فيه أخبار سارَّة أبدًا

لقد حاول الناس في غضون قرون عديدة أن يحظوا بالدخول إلى السماء من خلال كل إستراتيجية يمكن للعقل البشري أن يبتكرها، كالإعتكاف والتأمُّل وإنكار الذَّات والتقشُّف والتعذيب الجسدي (مثل صعود السلالم على ركبهم)، والحج، والرهبنة، أو دفع المال. إنها أمور لا جدوى منها. لا شيء سوى دم المسيح يستطيع أن يغسل دنَس الخطيَّة

مغالطة يسوع الزائدة

يعترف الكثيرون بأن الإيمان بالمسيح ضروري، لكن البعض يضيفون بسرعة متطلبات أخرى. في أيام الكنيسة الأولى، علَّم البعض أن الختان ضروري أيضًا. واليوم يضيف الناس المعمودية والتكلم بألسنة وحفظ السبت وحفظ الناموس وأعمال مماثلة. هذه كُلِها ليست بذي نفع على الإطلاق، الأنَّ الرَّب يسوع المسيح هو المخلص الوحيد والكافي ولن يشارك شرف الخلاص مع أي شخص أو أي شيء آخر. الخلاص هو بالنعمة من خلال الإيمان بإضافة لا شيء. النعمة هي دورهُ والإيمان به هو دورنا

كشف الإنجيل الكاذب

نصرِّح أنَّ الإنجيل الكاذب معيبٌ بشكل قاتل. يقول الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا أنه لا يمكن لأحد أن يخلُص بحفظ الناموس أو بالأعمال الصالحة. (رومية٣:٢٠، ٢٨؛ ٥:٤؛ غلاطية٢:١٦؛ ٣:١٠-١١؛ أفسس٢:٩؛ ٢تيموثاوس١:٩؛ تيطس٣:٥) هذه الأشياء لا تستطيع أن تُكفِّر عن الخطايا. ومن ناحية أخرى، تقول أعداد كثيرة في الكتاب المقدس أن الخلاص هو بالإيمان بالمسيح، بعيدًا كلّ البُعد عن الأعمال. (رومية٣:٢٠، ٢٨، ٤:١-١٢؛ غلاطية٢:١٦-١٧؛ ٣:١٠-١٤؛ أفسس٢:٨-٩؛ ٢تيموثاوس١:٩؛ تيطس٣:٥)

إن الإنسان الذي يطلُب الخلاص بأعماله لا يمكنه أن يعرِف أبدًا أنه قد خلُصَ، وهو أيضًا لا يعرف أبدًا ما إذا كان قد قام بما يكفي من الأعمال الصالحة أو النوع الصحيح منها. ولكن عندما تخلُص بالنعمة بالإيمان، يمكنك أن تعرف أنك مخلَّص بسلطان كلمة الله. أنتَ تعرف متى قبلتَ الهبَة. هذا

ما يعنيه الكتاب المقدس عندما يقول: «لِهَذَا هُوَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ ٱلنِّعْمَةِ، لِيَكُونَ ٱلْوَعْدُ وَطِيدًا...» (رومية٤:١٦)

لا يمكن لأي شخص يحيا تحت الناموس أن يشعر بالأمان إلى الأبد لأنه لا يعرف ما قد يفعله في المستقبل. العَيب القاتل في إنجيل الأعمال هو أن كل شيء يعتمد على الذات

يضمن إنجيل النعمة أنه لن يهلك أي فَرد من خراف المسيح إلى الأبد، وترنيمة جون كينت تعكس هذه الثقة

لا يمكن أن تُفصَل النفس عن المسيح؟
إنَّها مرتبطة برباط أبدي،
مرَّة في المسيح ففيه إلى الأبد،
وهكذا يكون العهد الأبدي،
لن يخطفك أحد من يد المخلص القوية.

إنَّ الأشخاص الذين يحاولون الإعتماد على الأعمال من أجل كسب خلاصهم، هم عبيد، يسعون بلا نهاية ولكنهم لا يحقِّقون الخلاص أبدًا.
لقد وعد يسوع المؤمنين به أنه عندما يحرِّرهم، سيكونون بالحقيقة أحرارًا

الكلمة الأساسية للإنجيل الكاذب هي «إعمَل». الكلمة الأساسية للنعمة هي قد أُكمِلَ العَمَل. لقد أنهى المسيح بالفعل عَمَل الفِداء. لذلك ليس عليك أن تعمل أي شيء.

إنَّ الناس بطبيعتهم لا يحبون النعمة، ولا يريدونها لأنفسهم ولا يريدون أن يظهرها الله للآخرين. في هذا الشأن، هم مثل كلبٍ يحرس حظيرة ماشية، إنه لا يأكل التبن، ويطرد أي حيوان آخر بعيدًا عن المكان. لقد أغلق القادة الدينيون في زمن يسوع ملكوت الله في وجه الناس. لم يُدخِلوا أنفسِهِم ومنعوا غيرهِم من الدخول.

الناموس يَضطَّهد النعمة. في العهد القديم، عندما سخِرَ إسماعيل من إسحق، رأى بولس في الحادثة مثالاً لهذه الحقيقة. (غلاطية٤:٢٨-٣١) ويظهر ذلك بشكل أكثر وضوحًا في صَلبْ المسيح. لقد كان الناموسيون هم الذين دبَّروا موت ذاك الذي أتى بالنعمة والحَقّ

الفصل السابع

كيفيَّة التعرُّف على المؤمن الحقيقي

يمكنك معرفة في أي من هذه المواقف يقف الشخص - هل في الناموس أم في النعمة؟ وعليه عندما تسأل هذين السؤالين البسيطين، «هل أنت مخلَّص؟» أو «هل أنت مسيحي؟»، سيقول المؤمن الحقيقي شيئًا كهذا: «نعم، لقد خلُصتْ ولكن هذا فقط بنعمة الله وليس بأي شيء مما فعلته».

توجد بعض الأمثلة البارزة في الكتاب المقدس لأشخاص كان لديهم تقدير جيد للنعمة

كانت راعوث عضوًا في أقلية محتقرة ومحكوم عليها بالفشل. وعندما أظهر لها رجل إسمه بوعز لطفًا غير عادي وغير متوقع، نقرأ أنها: «فَسَقَطَتْ عَلَى وَجْهِهَا وَسَجَدَتْ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَقَالَتْ لَهُ: «كَيْفَ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَيَّ وَأَنَا غَرِيبَةٌ؟» (راعوث٢:١٠) لقد فهمت ما معنى النعمة

وبعد أن قطع الرَّب مع داود عهدًا غير مشروط، قال داود: «مَنْ أَنَا يَا سَيِّدِي ٱلرَّبَّ؟ وَمَا هُوَ بَيْتِي حَتَّى أَوْصَلْتَنِي إِلَى هَهُنَا؟» (٢صموئيل٧:١٨). لقد عرف داود أنه لا يستحق هذه النعمة

عندما تبنى داود إبن يوناثان صديقه، مفيبوشث المُقعد، سأله الأخير: «مَنْ هُوَ عَبْدُكَ حَتَّى تَلْتَفِتَ إِلَى كَلْبٍ مَيِّتٍ مِثْلِي؟» (٢صموئيل٩:٨). أدرك مفيبوشث أن الملك كان بإمكانه قتله لأنه كان حفيد شاول الذي كان يلاحق داود بلا هوادة في محاولة قتلهِ

لم يتغلب بولس أبدًا على حقيقة أنه، وهو مضطَّهد للكنيسة سابقًا، أن يُدعى ليكون رسولًا: «لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هَذِهِ ٱلنِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ بِغِنَى ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي لَا يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ ٱلْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ ٱلسِّرِّ...» (أفسس٣:٨-٩) لقد اعترف بولس بكل سرور بأنَّه لا يستحق مثل هذه الدعوة

تقول الترانيم ذلك بشكلٍ جيِّد

هنالـك العديـد من الترانيم المسـيحية التي تعبر ببلاغة عـن الإعتراف والإمتنان للنعمـة التي أظهرها الله لأولئـك الذين يؤمنون

ولعل أشهرها ترنيمة جون نيوتن الخالدة:

ما أعجَبَ النِّعمة لي، من قلبِكَ الكبير
من بعد ما ذُقتُ العمى، ها إنَّني بَصير

(إنـه لأمـر غامـض، أنَّ كَمًا كـبيرًا مـن النـاس يحبـون هـذه الترنيمـة ويرنمونهـا، ومـع ذلـك مـا زالـوا يعتقـدون أنهـم قـد خَلَصـوا بفعـل حياتهـم الصالحة!)

وعلى نفس المعنى تأتي كلمات إسحاق واتس:

واحسرتاه! هل نزَفَ مخلصي؟
وهل مات سيِّدي؟
هل سيُكرَّس هذا الرأس المقدس
لمثلي أنا الدودة؟

لقد أدرك تشارلز جبرائيل أن خلاصه كان كله نعمة، فقال:

إنني أقف مندهشًا من الحب الذي يقدمه يسوع،
مرتبكًا من النعمة التي يقدمها مجَّانًا؛
أرتعد عندما أعرف أنه صُلب من أجلي،
أنه من أجلي، أنا الخاطئ، تألم ونزف ومات.

إليكم هذا الحوار الذي جرى عندما التقى تشارلز سمعان، بجون ويسلي لأول مرة:

سمعان: أنا أفهم أنك تُلقَّب "أرمينيًا": (يؤكد الأرمينيون على إرادة الإنسان الحرة في الخلاص، بينما يؤكد الكالفينيون على سيادة الله واختياره. ويظهر الحديث أن وجهتي النظر ليستا بالضرورة متعارضتين)؛ وقد أُطلق عليّ أحيانًا لقب الكالفيني، ولذلك أفترض أننا يجب أن نتَناحر. لكن قبل أن أوافق على بدء القتال، سأطرح عليك بعض الأسئلة. هل تشعر أنك مخلوق فاسد، ومنحرف جدًا لدرجة أنك لم تكن لتفكر

أبدًا في التوجه إلى الله لو لم يضع الله ذلك في قلبك أوَّلاً؟

ويسلي: نعم، أشعر بذلك بالتأكيد.

سـمعان: وهـل أنـت يائـس تمامًا من التقدُّم بنفسـك أمام الله بـأي شيء يمكنك القيـام بـه؟ وتعتبر أنَّ الـخلاص فقط بدم المسـيح وبرِّه؟

ويسلي: نعم، فقط بدمُ المسيح.

سـمعان: لكـن إفترض أنـك خَلُصتَ أوَّلاً بالمسـيح، أفلا تخلِّص نفسـك بعد ذلك بطريقـة أو بأخـرى بقوتك الخاصة؟

ويسلي: لا، يجب أن أخلُص بالمسيح من البداية إلى النهاية.

سـمعان: إفترض أنك ولدتَ ولادة جديدة أوَّلاً بنعمة الله، ألا تسـتطيع بطريقة أو بأخـرى أن تحافظ على نفسـك بقوَّتك الخاصَّة؟

ويسلي: لا.

سمعان: فهل سيدعمك الله في كل لحظة وكل ساعة مثل الرضيع في حضن أمه؟

ويسلي: نعم تمامًا.

سمعان: وهل كل رجاؤُك بنعمة الله ورحمته أن يحفظك في ملكوتِه السَّماوي؟

ويسلي: نعم، ليس لي أمل إلا فيه.

كان سـمعان راضيًـا. ولم يجـد أي سـبب للتناحـر معـه، فأعـاد خِنجـره الرمـزي إلى غمـده

كان كلا الرجلين يقفان بثبات على موقف النعمة.

الفصل الثامن

كلامك يخونك

إن الذيـن يعتمـدون على الأعمال فقـط يخونـون أنفسـهم بموقفهـم بقولهـم أشـياء مثـل مـا يلي

«أنا أبذل قصارى جهدي».

المشـكلة هنـا هـي أن أفضـل ما لديك ليس جيـدًا بما فيه الكفايـة! إنَّ «أفضل» مـا يمكنـك تقديمـه هو مجرد خِرق باليـة في نظر الله

«أنا لست سيئًا مثل الكثير من الأشخاص الآخرين».

قـد يكـون هـذا صحيحًـا، لكنـك لم تصـل إلى مقيـاس الـكمال الـذي وضعه الله لذلـك أنـت بحاجـة إلى الخلاص

«أحاول أن أكون مسيحيًا، لأنني لطيف مع جيراني وأعيش حياة صالحة»

لا يمكنـك أن تصبـح مسـيحياً بالمحاولـة. بـل مـن خلال الثقـة بالـرَّب يسـوع. تقـول ترنيمـة قديمـة

ولا تسمح للضمير أن يُطيل،
ولا من اللَّياقة حلم الإعتزاز،
كل اللَّياقة التي يطلبها
هو أن تشعر بحاجتك إليه.
"إتش. سمارت"

«ألا يكفي أنني صادق؟»

يمكـن للشـخص أن يكـون صادقًـا ومـع ذلـك يكـون مخطئًـا تمامًـا. هـل قرأت عـن الأب الـذي نـزل إلى الطابـق السـفلي في منتصـف الليـل معتقـدًا أنـه سـمع لصًـا؟ وعندمـا رأى حركـة في غرفة المعيشـة، أطلـق النار من بندقيتـه وقتل ابنته الصـغيرة. لقـد كان صادقًـا، لكنـه مخطئ بشـكل فظيع

«لقد كنت دائمًا متدينًا جدًا».

في بعض الأحيان يكون أسوأ شيء في الإنسان هو تديُّنَه الذي يُخفي عنه حاجته إلى المسيح. يقول وارن ويرزبي، «مثل معظم المتدينين اليوم، كان لدى بولس ما يكفي من الأخلاق لإبعاده عن المشاكل، ولكن لم يكن لديه ما يكفي من البرِّ ليدخله إلى السماء! لم تكن الأمور السيئة هي ما أبعد بولس عن يسوع، بل كانت أشياء جيدة! كان عليه أن يخسر «ماضيه المتدِّن» ليجد الخلاص».

«آمَل أن أصل إلى السماء».

لا يكفي أن تأمَل؛ يجب أن تعرِف. يجب أن تكون متأكِّدًا. ربما كان تأَمُلَكَ خاطئًا

«كان جَدّي كاهنًا».

إنَّ هذا يتجاهل تمامًا حقيقة أن الخلاص هو مسألة شخصية للغاية. مكانة جدك لا تنقذك. النعمة لا تعمل في الجينات. الخلاص ليس مسألة نسب

«لن تستطيع أن تعرف حتى يُخرِج الله موازينه».

سيكون الوقت قد فات إذا كنت تعتمد على أعمالك. يمكنك أن تعرف الآن إذا كنت تقبل عطيَّة الله. إنَّ الحياة الأبدية من خلال يسوع المسيح الرَّب

«أعتقد أن لدي فرصة جيدة».

ليس لديك أي فرصة على الإطلاق طالما أنَّك تعتمد على نفسك وليس على المخلِّص

«سيكون من باب الإفتراض بالنسبة لي أن أقول إنني خلُصت».

هذا صحيحً لو كان الخلاص بالأعمال فقط. ولكن عندما يكون عطيَّة مجانية مبنيًّا على الإيمان البسيط، سيُلغى أي إفتراض بهذا الخصوص.

يقول الله أن الذين تابوا وآمنوا يخلصون. فهل الإعتقاد بذلك هو مجرَّد إفتراض؟ كلا. إنّهُ إفتراض الشَّك في كلمته. وهنا يكمن الإفتراض الحقيقي

«لا بد لي من تنقية حياتي أوَّلاً، أليس كذلك؟»

كلا، لا تفعل ذلك. الله يدعوك أن تأتي كما أنت في كل خطاياك. إذا انتظرت حتى تتحسن، فلن تأتي إليه أبدًا. الله لا يبحث عن الأشخاص الصالحين أو الأشخاص الذين حاولوا تنقية أنفسهم. إنه يبحث عن الخطاة الأشرار الذين يريد هو أن يخلصهم، ويبرِّرهم، ويمجِّدهم

«أخشى أنني لن أتمكن من الصمود»

لن تشعر بهذا الخوف بمجرد أن تدرك أن الخلاص كله هو بالنعمة. لن تكون قادرًا على «الصمود» أكثر من قدرتك على إنقاذ نفسك في المقام الأول. ولكن نفس المخلص العجيب الذي يعطيك الخلاص هبة مجانية، هو أيضًا قادر أن «يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاثِرِينَ، وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلَا عَيْبٍ فِي ٱلِٱبْتِهَاجِ» (يهوذا ع ٢٤)

لاحظ تركيز المُعتمد على الذات في جميع الإقتباسات السابقة. لم يذكر ولا كلمة واحدة عن المخلِّص. يعتقد الشخص أن كل شيء يعتمد على ما هو عليه أو ما فعله

الفصل التاسع

ما الخطأ في الأعمال؟

قد يبدو مما قلناه أننا لا نؤمن بضرورة الأعمال. وهذا سوء فهم.

عندما نقول إننا لا نخلص بالأعمال، فإننا نقصد الأعمال الجديرة بالتقدير للخلاص، بمعنى آخر، الأعمال التي تُلزِم الله بخلاصنا ونقصد بذلك الأعمال التي نسعى بواسطتها لكسب أو إستحقاق مكان في السماء

في الواقع، هناك شعور بأن حتى التوبة والإيمان هما عملان، لكنهما ليسا جديرين بالقبول. التوبة هي أن يوجِّه الشخص وجهه إلى الله ويدير ظهره إلى الخطيَّة. الإيمان هو ببساطة الإيمان بكلمة الله الذي لا يمكن أن يكذب. التوبة ليست شيئًا تفتخر به ولا الإيمان أيضًا. إنها مجرد إجراءات معقولة يجب على الجميع اتخاذها

أول عمل صالح يمكن للخاطئ أن يفعله هو الإيمان بالمسيح. عندما سأل اليهود يسوع: «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ الله؟»، أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ عَمَلُ الله: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». (يوحنا٦:٢٩)

بدون أن يفعل الشخص ذلك فإن أعماله الصالحة الأخرى هي أعمال لا ترضي الله. وأفضل ما يمكن أن يقدمه هو فقط الخِرق البالية بالنسبة للرَّب (إشعياء٦٤:٦). ولكن كل هذا يتغير عندما يولد الإنسان ولادة ثانية بقبول المسيح مخلصًا له دون الأعمال، من ذلك الحين فصاعدًا يُصبَح أي شيء يفعله طاعة لكلمة الله يُعتبر عملاً صالحًا. كل ما يفعله كما لو كان يفعله للرَّب فهذا ما يكون مقبولًا. حتى المهام الأكثر بساطة ووضيعة تُصبح أعمالًا صالحة عندما تُنفَّذ بهدف طاعة وإرضاء الله. أحيانًا تقتصر الأعمال الصالحة على أعمال الرحمة والمحبة، وعلى أشكال مختلفة من الخدمة المسيحية. لكن واجباتنا اليومية في العمل والمنزل تحسب عند الله وستكافأ عند كرسي قضاء المسيح

إنَّ الأعمال الصالحة هي ثمرة الخلاص وليس الأساس ولا النتيجة وليس السبب. إنَّ الكتاب المقدس مليء بالتعليم الذي يوجب المؤمنين أن يعملوا أعمالاً صالحة، (يوحنا١٢:٢٦؛ ١كورنثوس٣:٨؛ أفسس٢:١٠؛ ٦:٨؛ تيطس٣:٨؛ عبرانيين٦:١٠؛ رؤيا٢٢:١٢). ليس لكي يخلصوا بل لأنهم مخلَّصون. نحن لا نخلص بالأعمال الصالحة، بل نخلص أولًا، وبعد ذلك نعمل أعمال محبَّة بالمسيح. إنها نتيجة الخلاص وتأكيدٌ عليه. ثمَّ أنّهُ لا يجوز لنا أن نفصل بين ما جَمعَه الله. لقد جَمعَ الإيمان والخلاص. الأعمال والمكافأة. فإذا ما نتذكر هذين الدمجين فإنَّ كل شيء سيكون على ما يرام

الفصل العاشر

أجب على هذا السؤال

إذا أخطأت، فأنتَ تفقِد خلاصك، أليسَ كذلك؟

هـذا هـو السـؤال الذي يطرح نفسـه دائمًـا: «عندما يخطئ المؤمـن، ألا يخسر خلاصـه؟» بالطبـع لا. خذ بعين الإعتبـار ما يلي

قـال يسـوع أنَّه لن يهلـك أحد خرافـه أبداً.(يوحنـا١٠:٢٧-٢٨) يجب أن يكون ذلـك كافياً لتسـوية الأمر.

إنَّ الـخلاص هـو عطيـة الله بالنعمـة لأنَّ الله عندمـا يُعطـي عطيَّـة مـا فهـو لا يسترجعهـا أبـدًا (رومية١١:٢٩)

نفس النعمة التي تخلص هي أيضًا تحافظ. (١بطرس١:٥؛ يهوذا ٢٤)

لأنَّ هبة الله هي الحياة الأبدية. (رومية٦:٢٣) الأبدية تعني إلى ما لا نهاية.

عندمـا يخلص الإنسـان، يصبح إبنًا لله بالولادة الجديـدة. (يوحنا١:١٢) وبمجرد حـدوث الـولادة الجديـدة، لا يمكـن أبـدًا إلغاءهـا أو التراجـع عنهـا. إنهـا أبديَّة، ومـن ثـمَّ تصبـح هـذه العلاقة سلسـلة غير قابلـة للكسر

بقدر ما يكون المرء مبرَّرًا، فمن المؤكد أنه سيتمجَّد يومًا ما أيضًا. (رومية٨:٣٠)

يسـكن الـروح القـدس في المؤمـن إلى الأبـد أيضًـا (يوحنـا١٤:١٦) ولا يتركـه عندمـا يخطـئ

يمنَح الروح القدس للمؤمن عربونًا للسماء. (٢كورنثوس١:٢٢؛ ٥:٥؛ أفسس١:١٤) إنه ضمان المجد النهائي

إنَّ ختـم الـروح القدس في المؤمن المسـيحي، دليل ملكيته للـرَّب، وأَمْنَهُ إلى أن ينال جسـده المُمجَّد في السماء. (٢كورنثوس١:٢٢؛ أفسـس١:١٣؛ ٤:٣٠)

لقـد صالحنـا الـرَّب يسـوع مـع الله عندمـا كُنـا أعـداء، وأكثر مـن ذلـك فهـو يحفظنـا بخدمتـه الحاليـة في الـسماء! (رومية٥:١٠) لقـد دفـع ثمنـاً باهظـاً لخلاصنـا، وسـوف لا يتركنـا نذهـب

لا يُدان المؤمن أبدًا. (يوحنا ٥:٢٤) لقد أصبح الله الآن أبوه، ولم يَعُد ديّانَه.

لقد دفع المسيح عقوبة خطايا المؤمن به. (١كورنثوس٣:١٥) وهذا يعني أن المؤمن لن يضطر أبدًا إلى دفع هذه العقوبة فيما بعد، لأنَّ دفعها مرَّة واحدة تسوِّيها إلى الأبَد، لأنَّ الرَّب يسوع قد أتمَّ العمل، (يوحنا١٩:٣٠)، لذلك لا يمكنك أن تُضيف إلى العمل التَّامّ. ولا يُطلب منك أن تفعل أي شيء تجاهه.

لا شيء في الكون يمكن أن يفصل المؤمن عن محبة الله. (رومية ٨: ٣٨-٣٩)

صحيح أن هناك بعض الأعداد في الكتاب المقدس يبدو أنها تقول بأنه يمكن لأي شخص أن يخلص ثم يمكن أن يخسر خلاصهُ نتيجة لخطيَّته. تتحدث العديد من هذه الأعداد فقط عن المسيحيين بالإسم، وليس عن المؤمنين الحقيقيين المولودين ولادة ثانية. أما المقاطع الأخرى فإنّها تتناول الخدمة وليس الخلاص. ويوصَف البعض بالمرتدين، وهم أولئك الذين اعترفوا ذات مرة بالإيمان بالمسيح، ولكنهم بعد ذلك أنكروا المسيح مما يشير إلى أنهم لم يولدوا ولادة جديدة حقيقية أبدًا

نعم، ولكن لنفترض أن المؤمن يخطئ؟ ماذا يحدث إذًا عندما يخطئ المؤمن؟

ستنقطع شركته مع الله. (١يوحنا١:٦) لكن يبقى الله أبوه (١يوحنا٢:١) ولكن الشركة معه قد انقطعت بسبب خَطيَّته، إلى أن يتوب عنها. كما أنَّ شركته مع زملائه المؤمنين تصبح منقطعة. (١يوحنا١:٧). ومن ثمَّ يفقد فرح خلاصه. (مزمور٥١:١٢) ويفقد قوَّته. (مزمور٣٢:٤)

قد لا تعود شهادته فعَّالة؛ (تكوين١٩:١٤) تنغلق شفتاه، ولكنه لا يزال صالحًا للسماء من خلال إستحقاقات المسيح، لكنه لم يعد صالحًا للخدمة على الأرض.

فإذا كانت الخطية ذات طبيعة علنيَّة فإنها ستجلُبَ العار لإسم الرَّب يسوع، وتجعل أعداء المخلِّص يجدِّفونَ عليهِ. (٢صموئيل١٢:١٤)

إنه يعيش كذبة، ذلك أنَّ أفعاله تُلقي بظلال الشك على حقيقة ولادتِه الولادة الجديدة. (٢تيموثاوس١٩:٢) ويكون بحالة الكلام المتعالي والسلوك الواطئ. يتحدث بكلام معسول لكنه يعيش خاليًا من المعنى. وبعد ذلك يفقد حقَّهُ بالدخول إلى حضرة الله بالصلاة. (مزمور٦٦:١٨)

ستحترق أعماله، ولكن هو نفسه ينجو كما بنار (١كورنثوس٣:١٥).

سيكون في خطر هو تدمير حياته. (١كورنثوس٩:٢٧)، فإنَّ قرارًا واحدًا يتخذه المؤمن الذي يُخطئ يمكن أن يُترك لبقية حياته فيما يتعلق بخدمة الرَّب

وقد يفقد صحَّته الجسدية وربما حياته هنا على الأرض. (١كورنثوس١١:٣٠)

قد يخسر مكافآته عند كرسي قضاء المسيح. (١كورنثوس٣:١٥)

لكن الوضع ليس ميئوسا منه. هناك طريق للعودة إلى الله. بمجرد أن يعترف بخطيَّته ويتوب عنها ويتركها (أمثال٢٨:١٣). ففي اللحظة التي يتوب بها ينال المغفرة من الله أبيه. تؤكد رسالة يوحنا الأولى١:٩ على هذه النقطة. حيث يقول: «إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ»

إنَّ مسؤولية المؤمن الخاطئ هي الإعتراف، أي أن يعترف بخطاياه، داعيًا إياها بإسمها أمام الله. ليس عليه أن يتَرجَّى الرَّب أن يغفر له، وليس عليه أن يندُبَ خطاياه بالرغم من أن ذلك قد يكون مفيدًا، لكن ببساطة يعترف بها من القلب.

إنَّ الله أمينٌ لكي يغفر لأنه وعد بأنّهُ سيفعل ذلك. وهو يغفر، لأن عمل المسيح الكفاري يوفِّر له طريقة بارَّة للقيام بذلك. إنّهُ لا يغفر فقط؛ بل ويُطهِّره من كل إثم. إنَّ السِّجل واضح، لم يعُد الذنب قائمًا البتَّة، وصوت الضمير الذي يؤنبهُ لا يعود يفعل ذلك

ينال الشخص غير المخلَّص المغفرة القضائية للخطايا عندما يتوب ويؤمن بالرَّب يسوع المسيح، أمَّا المؤمن المسيحي فينال مغفرة أبويه لخطاياه عندما يعترف بها أمام الله

ينبغي إضافة ملاحظة واحدة لهذا التحذير. فبالرغم من أن خطايا المؤمن تُغفر في اللحظة التي يعترف بها، إلا أن عواقب الخطيَّة غالبًا ما تبقى. وبهذا المعنى، لا يمكنه أن يخطئ ويفلت من العقاب خلال حياته الأرضية

أعرفُ رجلاً حصل على الخلاص ثم هَلكَ. ماذا عن ذلك؟

أعتقد أنني أستطيع سماع شخص يقول: «أعرف رجلاً كان مسيحياً، لكنه وقع في الخطية وفقد خلاصه. ماذا تقول في ذلك؟»

تجدر الإشارة إلى عدة حقائق. أولاً، هناك فرق بين أولئك الذين يعترفون عقليًّا بأنهم مسيحيون، وأولئك الذين وُلدوا حقًّا ولادة ثانيةً. هناك مؤمنون

إسـميُّون ومؤمنـون حقيقيـون. فـإذا قـال شـخص أنـه مخلَّص، لكنـه يسـتمر في حيـاة الخطيَّـة، فهنـاك سـبب وجيـه للشـك في اعترافـه. عندمـا يدخـل المسـيح حيـاة شـخص مـا، فإنَّـهُ يُحـدِث فيهـا تغـييرًا ظاهرًا

ثـم هنـاك أولئـك الذيـن يسـقطون في الخطيَّـة. نعم قـد ولـدوا ولادة جديدة حقًـا ولكنهـم ابتعـدوا عـن الـرَّب. ومثـالًا على ذلـك بطـرس الرسـول. لقـد أحبَّ الـرَّب حقًـا ولكنـه سـقطَ في الخطيَّـة. في هـذه الحالـة، إمـا أن يُسـتَعاد المرتدين إلى هـذه الحيـاة مـن خلال تأديـب الله أو نقلهـم إلى الـسماء

وهنـاك فئـة أخـرى تُعـرَف بالمرتديـن، الذيـن منهم يهوذا مـثلًا. هـؤلاء الناس لم يولـدوا ولادة جديـدة أبـدًا، لكنهـم يتظاهـرون بأنهـم مؤمنون ثـم يعتمِدون. إنَّ عـددًا قليـلًا منهـم قُبلـوا بالفعل في كنيسـة محلية كأعضاء. لكنهـم بعد ذلك تبرأوا مـن المسـيح بخُبـث وأنكـروا الحقائـق المسـيحية. من المسـتحيل أن يكون هـؤلاء المرتـدّون قـد ولـدوا ولادة جديـدة. على أننا في كل هذه الأمـور، يجب ألّا نبنـي عقيدتنـا على الإختبـار الشـخصي أو العاطفة. إنَّ الإختبار هـو: «ماذا يقول الكتـاب المقـدس؟» يقـول الكتاب المقـدس أنَّ المؤمن الحقيقـي يخلص إلى الأبد

إنَّ الأمر سهلٌ جدًا. ليس من المعقول أن نعتقد بأن الخلاص هو عطية مجانية. ألا تعتقد أن إنجيلك رخيص للغاية؟

الجـواب الكتـابي يقـول: أنـه بالرغـم مـن أن الأمـر رخيص بالنسـبة لنـا، إلا أنه لم يكـن رخيصًـا بالنسـبة للمُخلِّص. لقـد كلَّفـه كل شيء. مـن طبيعـة العطيَّة أن تكـون مكلِّفـة جـدًا للمانـح وليـس للمُسـتلِم، والنـاس لا يرفضـون هدايـا عيـد الميـلاد أو هدايـا الزفـاف أو هدايـا عيـد مـيلاد المسـيح، فـلماذا ترفـض أعظـم الهدايـا التـي يمنحـك ايّاهـا الله؟

تكمـن وراء الإعتراض «الرخيـص للغايـة» الكبرياء الإنسـانيَّة. لقـد أصبح الناس مُدمنين على فكـرة أنهم يسـتطيعون المسـاهمة بشيء جديـر بالتقدير للحصول على تذكـرة دخـول إلى الـسماء. ولأن النعمـة تسـتبعد هـذا الإحـتمال، فإنهـم لا يحبـون ذلك، بـل ويرفضونه

الفصل الحادي عشر

إساءة إستخدام النِّعمَة والتعامل بها

مثـل كل شيء جيِّـد آخـر، يمكن إسـاءة إسـتخدام النِّعمَة. يمكـن أن تكون النار والماء نعمـة عظيمـة ولكـن يمكن إسـتخدامها بشـكل خاطئ أيضًـا. يمكن للناس أن يحرِّفـوا سـيادة الله ويُؤمِنـوا بالقضـاء والقـدر، بقولهم ما قُدِّرَ سـيكون، وليس هنـاك ما يمكنـك فعله حيـال ذلك.

مـن المحـزن أن نقـول أنَّـهُ مـن الممكـن اسـتخدام نعمـة الله كذريعـة للعيـش بـإهمال. ومـن الممكـن للمؤمـن أن يتخـذ مـن حريتـه ذريعـة للإنـطلاق في كافة أنـواع الملـذات والإنـغماس فيهـا وهـذا لا يعنـي أن العقيـدة خاطئـة. إنـه يعنـي ببسـاطة أن بعـض الناس بحاجة ماسَّـة لتبرير سـلوكهم الخاطـئ، وإذا تمكنوا من القيـام بذلـك باسـتخدام الكتاب المقدس، فهـذا أفضل لهم، أو هـذا ما يعتقدون

صحيـح أن المؤمـنين ليسـوا تحـت النامـوس بـل تحت النعمـة. (رومية٦:١٤) ولكـن هـذا لا يعنـي أن لديهـم الحـقّ في أن يكونـوا خـارجين عـن النامـوس. إنهـم ليسـوا تحـت النامـوس مـع كل مـا ينطـوي عليه ذلك مـن عقوبـة وإدانة. ولكنهـم تحـت نامـوس المسـيح (١كورنثـوس٩:٢١) أي أنهـم مرتبطـون بالمسـيح برباط المحبـة وملزمـون على فعـل الأشـياء التـي ترضيـه، وقـد تـمَّ التعـبير عـن هـذه العلاقـة بشـكل جيِّـد في الـكلمات التاليـة

أأحتاج أن يقيِّدُني الناموس، لأكون أسيرًا لديكَ؟
أكون أسيرًا فذلك فرح قلبي أن لا أكون حُرًا أبدًا.

صحيـح أنـه عندما يُحرِّر الرَّبُ إنسـانًا، فهـو بالحقيقة حُـرٌّ. (يوحنا٨:٣٦)، لكن هـذا لا يعنـي حرية لفعـل الخطيَّة لأن الحرية ليسـت رخصة للخطيَّة.

يتمتـع طيـار الطائرة بحرية إستكشـاف الـسماء ولكن من الأفضل لـه أن يتَّبِع مسـار الرحلـة المحدَّد إن أراد الوصـول إلى وجهته بأمان.

علَّـم بولـس أهـل غلاطية (وجميع المؤمـنين): «فَإِنَّكُمْ إِنَّمَـا دُعِيتُـمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا

ٱلْإِخْـوَةُ. غَيْرَ أَنَّـهُ لَا تُـصَيِّرُوا ٱلْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَـدِ...» (غلاطية٥:١٣)

يشرح جون ماك-آرثر الإبن، ذلك جيدًا إذ يقول:

«إن التحرُّر من الناموس يعني التحرُّر من عبودية الخطية ومن عقوبة الناموس، وليس التحرر من القيود الأخلاقية. النعمة لا تعني أن لدينا الإذن للقيام بما يحلو لنا؛ وهذا يعني أن لدينا القدرة على فعل ما يرضي الله. إن مجرد الإيحاء بأن نعمة الله تمنحنا رخصة للخطيَّة هو أمر متناقض، لأن غرض النعمة هو تحريرنا من الخطية. كيف يمكننا، نحن الحاصلين على النعمة، أن نستمر في الخطيَّة؟

لماذا يستخدم الناس النعمة كذريعة لحياة الإهمال؟ ربما لم يخلُصوا حقًّا. إنَّ فكر في المتدينين الذين يحتفلون بمناسبة رأس السنة، وينخرطون في السُّكر والقمار كل الليل، ويخطِّطون لطلب المغفرة بعد يوم أو إثنين، يأملون في الإمتناع عن تلك الخطايا خلال الصوم الكبير

من الممكن أن يكون هؤلاء الآخرين مؤمنين، لكنهم يجهلون تعليم النعمة الحقيقيَّة. ربما لأنهم لا يفهمون حقيقة قداسة الله. أو أنَّ فكرتهم عن الخطيَّة ضئيلة جدًّا بحيث يمكن لأي شخص أن يخلُص ومع ذلك يتعلَّم عن الإيمان تعليمًا سيِّئًا.

قد يكون جهلًا متعمَّدًا من البعض، مع أنهم يعرفون ما هو المطلوب منهم ولكنهم خارج الشركة مع الرَّب. إنهم في حالة من الإرتداد مع أنهم واثقون من أن الله سوف يتغاضى عن خطاياهم «الصغيرة»، التي تسمى «جُنحَة»، لكنّهم يكونون مرتدّين.

كُتب في رسالة يهوذا عن هؤلاء غير المؤمنين بأنهم «فُجَّارٌ، يُحَوِّلُونَ نِعْمَةَ إِلَهِنَا إِلَى ٱلدَّعَارَةِ، وَيُنْكِرُونَ: ٱلسَّيِّدَ ٱلْوَحِيدَ الله وَرَبَّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ.» (يهوذا ٤)

الفصل الثاني عشر

كيف يُولِّد الله القداسة؟

لقد رأينا أن الخلاص هو بالنعمة بالإيمان، بصرف النظر عن الأعمال، ولكن يبقى السؤال: «كيف تتَحقَّق القداسة في حياة المخلَّصين؟». عندما يصبح الإنسان مسيحياً، لا بد أن يحدث تغييرٌ في حياته. والسؤال هو: ما هي العملية التي تحقِّق هذا التغيير؟

في الواقع هناك طريقتان فقط يمكن تصورهما، وهما، إما بالناموس أو بالنعمة. كما أن هاتين الطريقتين الوحيدتين اللتين يأمل الناس أن يصِلا بهما إلى السماء، كذلك هما الطريقتان الوحيدتان اللتان يأملوا في أن يحقِّقوا بهما قداسة الحياة.

إنَّ الطريقة الأكثر طبيعية ويميل إليها الإنسان هي وضع الناس تحت الناموس. فإن أُعطيوا مجموعة من الطقوس والفروض، حول ما يجب فعله وما لا يجب فعله، فهذا يرسِّخ فيهم الإنطباع بأنه يجب عليهم الحفاظ على هذه القواعد بمجهودهم الشخصيّ. وبما أن الناموس يجب أن تكون عاقبته العقاب، فهذا يخبرهم أنهم سيفقدون خلاصهم إذا لم يطيعوا. ويبدو أن هذا بالتأكيد هو الطريق المعقول والمنطقي لتحقيق حياة القداسة. وإلا فإن الناس سوف يخرجون وينخرطون في كل أنواع السلوكيات الخاطئة. هذه، على الأقل، هي الحُجَّة.

إنَّ المشكلة مع الناموس كطريقة سهلة للوصول إلى القداسة لا ينفع. لم يعد الناس قادرين على عيش حياة مقدَّسة بمجهودهم الشخصي أكثر مما كانوا قادرين على تخليص أنفسهم في المقام الأول.

هذا ما قصده بولس عندما سأل أهل غلاطية: «أَبَعْدَمَا ٱبْتَدَأْتُمْ بِٱلرُّوحِ تُكَمَّلُونَ ٱلْآنَ بِٱلْجَسَدِ؟» (غلاطية٣:٣) يخبر الناموس الناس بما يجب عليهم فعله ولكنه لا يمنحهم القدرة على القيام بذلك، ويدين المخالفين. فبدلاً من أن يؤدي الناموس إلى القداسة، فإن له تأثيرًا معاكسًا. تمامًا، كما أن الفاكهة المحرَّمة حلوة ومرغوبة، كذلك عندما تطلب من شخص ألا يفعل شيئًا

معيَّنًا، فإن ذلك يوقظ رغبة في طبيعته الساقطة لفعل ذلك الأمر. الناموس لا يُولِّد القداسة أبداً. على أنَّ كل ما يمكن أن يفعله الناموس هو الكشف عن الخطيَّة ومعاقبة المخالفين

إنَّ أسلوب الله هو توليد القداسة بواسطة النعمة. دعني أشرح ذلك. في الواقع يقول الله، «أُنظر، لقد خلَّصتُك بنعمتي. الآن، بدافع من محبة المخلِّص، إذهب وعِش حياة تتفق مع إعلان إيمانك». لاحظ أن المحبَّة في ظل النعمة هي الدافع لحياة القداسة والمحبَّة دافع أقوى من الخوف. إنَّ الناس يفعلون بدافع الحُبّ ما لا يفعلوه أبدًا بسبب الخوف من العقاب. محبة الرَّب تُولِّد حياة القداسة. أمَّا الخوف فلا يفعل ذلك أبدًا

تمنح النعمة المؤمن مكانة كاملة أمام الله على أساس عمل المسيح. ثم تقول للمؤمن أن يسلك كما يليق بهذه المكانة. بعبارة أخرى، فإن حالته يجب أن تتوافق بشكل متزايد مع مكانتَه. يجب أن تُصبح ممارسته أكثر فأكثر مثل مكانتَه. إنه مدعوٌّ ليكون إبن لله ويجب عليه أن يسلك كعضو في العائلة المالكة. يقول جي. إف. ستروميبك: «يُذكِّر الله أولاً بما فعله بالنعمة؛ ثم على أساس ذلك، يدعو إلى حياة متناغمة مع ما فعله»

إن مكانة إبن الله هو ما يكون عليه في المسيح. هذه الكلمات «في المسيح» هي المفتاح لفهم مكانته أمام الله. هكذا يراه الله لأنه قبِلَ الرَّب يسوع مخلصًا لهُ. وسيكون سلوكهُ في الحياة اليومية متوافقًا مع ما هو عليه

لكن مما يدعو إلى الأسف، أنَّ حالة المسيحي في هذه الحياة لن تتوافق تمامًا مع مكانته. ولكن ينبغي لها أن تنمو بشكل متزايد في هذا الإتجاه. عندما يتمجَّد مع المسيح في السماء، سيكون سلوكه كاملًا، ولكن يكون أكثر تمجيدًا لله إذا تم إحراز تقدُّم عظيم هنا على الأرض

بعض الصفات التي تَصِف المكانة هي: متجدِّد، مغفورٌ لهُ، مُصالح، مفدىّ، مقبول، كامل، مكتَمِل، مبرَّر، مقدَّس، ومُمجَّد

بعض الأفعال التي تصف الممارسة هي، كُن، إعمَل، سِرْ، قدِّم، أعطِ، إحسِب، قِف، أترك، إلبَس، ينبغي، وسلِّم

وعلى ذلك فإنَّ طريقة الله هي أن يمنح المؤمن وضعًا مثاليًا أمامه ثم يعلِّمه أن يسلك في انسجامٍ معه. وهذا هو عكس الناموس تمامًا. يقول الناموس: «إذا وصلت إلى حالة معينة، فسوف تكتسب مكانتك»، وهذا مستحيل بطبيعة الحال، ولا يمكن القيام بذلك. أمَّا النعمة فتقول: «أنا أعطيك المكانة كهِبَة مجانية، والآن أُسلك فيها كما يكون إستحقاقُك». إذ يمكن لهذا أن يتم بقوة الروح القدس الساكن فينا.

ربما سمعتم عن الأرْمَل الذي استأجر مُدَبِّرَة منزل لتعتني بأولاده وبيته. لقد علَّقَ مجموعة من القوانين وقواعد التصرُّف على باب الثلاجة، وأخبرها بوضوح تام أن هذه هي مسؤولياتها. بعد ذلك تزايد الإهتمام بها. لقد وقع في حبّ السيِّدة الفاتنة، وبمجرد أن تزوجا، قام بإزالة القوانين والقواعد من على الثلاجة. لقد استمرت في أداء العمل، بل وأكثر، وأفضل، لكنها كانت تفعل ذلك بدافع الحُبّ وليس خوفًا من فقدان وظيفتها

عندما تُفهم النعمة بشكل صحيح، فإنها تكون أقوى دافع ممكن لحياة القداسَة. فكِّر بها بهذه الطريقة!

لقد مات الرَّب يسوع لكي يُزيل خطايا المؤمنين بذبيحة نفسه، فهل يرغبون الآن أن يستمروا بما تسبب في موته؟

لقد أثبت المسيح أنه أعزَّ صديق لأحبائه، ألا يجب أن يكون هدفُهُم أن يُرضوه في كل ما يفعلون ويقولون؟

وعندما مات المسيح، كان موتهُ بديلًا عنهم. وعندما مات ماتوا هم أيضًا، وحُسبوا موضِعيًّا أمواتًا عن الخطيَّة. ومن الناحية العملية، يجب عليهم أن يَعتَبروا أنفسهم أمواتًا عن الخطيَّة.

يناقش بولس هذه النقطة في رومية الأصحاح السادس. ويسأل: «أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟» (رومية٦:١) فيجيب بحدَّة: «حَاشَا! نَحْنُ ٱلَّذِينَ مُتْنَا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟» (رومية٦:١-٢)

قبل أن يَخلُص الإنسان بالنعمة، يكون عبدًا للخطيَّة. لكنَّهُ الآن أصبحَ عبدًا للبِرّ. وينبغي أن يسلِّم نفسه لهذه العبودية المقدَّسة

لقد عبّر أحدهم عن الأمر بهذه الطريقة: «إرجع بالتفكير عن سبب عِظمْ الذبيحة إلى عِظمْ الخطيَّة؛ ثم صَمِّم أن تتوقَّف عن الخطيَّة إلى الأبد».

وقد عبر يوحنا بَنيَان عن ذلك بشدَّة إذ قال: «الخطية هي التجرؤ على عدل الله، واغتِصاب رحمته، والإستهزاء بصبره، والإستهانة بقوته، واحتقار محبته»

إنَّ الجِسرْ الذي يفصل المؤمنينْ بالله عن الخطيَّة قد إشْترُوا بثمن عظيم جدًّا بحيث لا يمكنهم العودة والسير فوقه مرة أخرى

ما هو السلوك الحقّ؟

والسؤال الآن هو: «كيف يمكنني أن أعرف ما هو السلوك الحقّ؟» الجواب مذكور في الإرشادات العملية المتضمِّنة في كلمة الله. يحتوي العهد الجديد على مئات من هذه الوصايا، ولكن يجب أن نضيف هنا كلمة تفسيرية سريعة. الوصايا المذكورة هناك لم تعطَ كناموس مع عقوبة مُرفقة بل هي تعليم في البِرّ الذي يجيب على السؤال التالي: ما هو نوع السلوك الذي يليق بالإنسان المخلَّص بالنعمة؟ إليكم بعض الأمثلة المطروحة في مقطع واحد من الكتاب المقدس: (أفسس٤:٢٥-٣٢)

«لِذَلِكَ ٱطْرَحُوا عَنْكُمُ ٱلْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِٱلصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ،... اِغْضَبُوا وَلَا تُخْطِئُوا. لَا تَغْرُبِ ٱلشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلَا تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا. لَا يَسْرِقِ ٱلسَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِٱلْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلًا ٱلصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ إِحْتِيَاجٌ. لَا تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ حَسَبَ ٱلْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ الله ٱلْقُدُّوسَ ٱلَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ ٱلْفِدَاءِ. لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ، مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ ٱللهُ أَيْضًا فِي ٱلْمَسِيحِ»

لذلك نرى أن نفس النعمة المخلِّصة: «مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ ٱلْفُجُورَ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِٱلتَّعَقُّلِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْحَاضِرِ» (تيطس٢:١٢)

يـشير سترومبيـك إلى أن المسـتوى الحـالي المنخفـض للسـلوك المسـيحي يرجـع إلى حـد كـبير إلى عـدم إكـتمال تعليـم النِّعمَـة، فجميـع المفاهيـم الخاطئـة مـن جانـب الكثيريـن، هـيَ التركيـز المفـرط على النعمـة كإجـازة للخطيَّـة، وهـذا سـيزول بسرعـة إذا وُجـدَ التعليـم بالنعمـة وفُهِـمَ فـهمًا تامًـا».

أَنتَ مخبإي

سلام للحُبّ السِّياديّ الذي بدأَ أَولاً،
خطةٌ لإنقاذِ الإنسانِ الساقطِ!
تحيةُ نِّعمَة فَريدَة مجانيَّة أبدية،
التي أعطت روحي مخبأ

ضدَّ الله الذي صنع الفَلَك،
حاربتُ بيدين مرفوعتين للأعلى،
إحتقرت ذِكرَ نعمتهِ،
متكبِّرٌ لم أبحث عن مخبأ.

مغلف بليْلٍ كثيف الظلام،
أحبَبتُ الظّلمةُ أكثر من النور،
بجنون ركضت في سباق خطيَّة،
آمنٌ - لكن بدون مخبأ.

لكن هكذا جرت المشورة الأبدية:
يا حُبّ القدير، إمسك هذا الإنسان!
أحسست بسهام الحزن
ووجدت أنه ليس لي مخبأً.

وقفَت العدالة الساخطة في الأفق،
فطِرتُ إلى جبل سيناء المشتعل،
لكنَّ العدالة صرخت بوجهٍ عابسٍ،
هذا الجبلُ ليس مخبأً!

منذ فترة طويلة كنت أسمع صوتًا سماويًا،
وظهرَ ملاك الرحمةَ مسرعًا،
قادني بوجهٍ مشرقٍ،
إلى يسوع لأنّهُ المخبأُ.

عليه وقَعَ إنتقام القدير
بدَل إغراق العالم في الجحيم
لقد حملهُ عن جنسٍ خاطئٍ
وهكذا صار لهم مخبأً.

عليه هبَّت عواصف الإنتقام
تهزُّ الكرة من قطب إلى قطب،
لا تخيف وجهي صاعقة ملتهبة
لأن يسوع لي مخبأً.

عدد قليل من شموس الغروب
تُنزلني آمنًا على ساحل كنعان
هناك أغني أغنية النعمة
ليسوع المسيح، مخبأي!

كان الرائد جون أندريه يحمل هذه الأبيات عندما قُبِضَ عليه في ٢٣ سبتمبر ١٧٨٠. ولا يُعرف ما إذا كان هو من كتب هذه الأبيات

الفصل الثالث عشر

إنها نعمة كلَّ الطريق

إنَّ الحياة المسيحية هي نعمة من البداية إلى النهاية. إن إله كل نعمة لن يتوقف أبدًا عن أن يسكُب نعمته على الذين يحبُّونَه. في بعض الأحيان قد تكون رحمته محجوبة عن الأنظار، ولكن إذا نظرنا إلى الوراء، فمن الواضح أنه لم ينسَ أبدًا أن يكون لطيفًا معنا

يرى المؤمنون نعمة إلهية في معجزة الحفاظ عليهم. وبالنظر إلى كل الجراثيم والفيروسات المنتشرة، والإحتمالات التي لا حصر لها للحوادث، ومخاطر السفر، ومخاطر رجال العنف، فليس من العجب أبدًا أن تستمر الحياة.

فكِّر في نعمة الرَّب في الإرشاد. فثمّة عدَدٌ كبير جدًا من الأشخاص الذين يوجههُم الله، ومع ذلك فهو يفعل ذلك بعناية لا متناهية ومهارة بارعة، حتى يستطيع كل واحد أن يقول

بالرحمة والإجتهاد نسج شبكة حياتي
وكل شخص يستطيع أن يرنِّم
لقد فعل مخلِّصي كل شيءٍ حسناً.

في بعض الأحيان يكون الطريق عبر صحراء بلا مسارات، وفي أحيان أخرى يكون مثل حقل ألغام. ومع ذلك، فإنه يقودنا في كل أبواب الحياة «بالعناية الحنونة التي لا تتعَب للقطيع الذي نزَفَ من أجلِه»

ثم هنالك فضله في تدبير الإحتياجات. والله الكريم يسدِّد كل إحتياجات أحبائه بحسب غناه في المجد الذي لا ينضب في المسيح يسوع. ويطعمهم من أجود الحنطة، وعسل الصخرة، (مزمور١٦:٨١.) ويعطيهم طعامهم في حينه

كما أنَّ عنايته تتجلى في هيمنته المطلقة على الظروف وفي توقيته للأحداث وتسلسلها. في نعمته يضمن أن لا شيء يحدث صدفةً، بل إنه يعمل كل الأشياء معًا للخير للذين يحبونه. ولأن أولاده هم قُرة عينه،

يعِـدُ بـأن: «كُلُّ آلَـةٍ صُـوِّرَتْ ضِـدَّك لَا تَنْجَـحُ، وَكُلُّ لِسَـانٍ يَقُومُ عَلَيْـك فِي ٱلْقَضَاءِ تَحْكُـمِينَ عَلَيْـهِ». (إشـعياء٥٤:١٧) ينقـضَ شرَّ الأشرار لمجـده ولصالـح شـعبه

لا تتألـق نعمـة الـرَّب أبـدًا بمزيدٍ مـن البهاء أكثر مـن غفرانه، ولا يسـتطيع أحد قيـاس أبعـاد النعمـة. فكِّـر في حالـة الملـك داود. ففـي البدايـة إرتكـب الزنـا مـع بتشـبع بينـما كان زوجهـا أوريـا في خضـمّ الحـرب. فعندمـا اسـتدعى داود هـذا الملازم الأمين مـن المعركـة، حـاول الملـك ترتيب الظروف حتى يبـدو أوريا هو والد الطفـل المنتظـر. وبعد فشـله في ذلـك، إبتكر داود حيلة بسـيطة تتمثل في إرسـال أوريـا إلى حيـث يكـون أكثر عرضـة لأخطار العدو، وحيث يكون موتـه مؤكدًا. كان فجـور الملـك وخيانتـه أمرًا حـقيرًا ولا يليق بمثل هـذا الملك. ولكن بمجـرد أن تاب، سَـمِع الـكلمات المُحـرِّرة: «الـرَّبُ، قَـدْ نَقَـلَ عَنْـكَ خَطِيَّتَـك». هـذا النـوع الخـارق للطبيعـة مـن المغفـرة هو الـذي دفع صاموئيـل ديفيـز إلى الكتابة

إله العجائب العظيم! كل طرقك
تُظهِر صفاتِك الإلهية؛
لكن أمجاد نعمتِك المشرقة
تشعُّ فوقَ عجائِبك الأخرى
ومن هو إلهٌ غفور مثلك؟
أو من لديه نعمة كذا غنية ومجانية؟

مثل هذه المآثم العميقة تُسامح!
مثل هذه الديدان الجريئة المذنبة تُحفظ!
هذا هو تفوُّقِكَ الأعظَم
ولا يشاركك أحد في هذه الكرامة،
ومن هو إلهٌ غفور مثلك؟
أو من لديه نعمة غنية ومجانية؟

يمنـح إلهنـا نعمة الدعم لشـعبه في كل وقت يحتاجها. كإجـراء عملية جراحيَّة، يمكـن للمسـيحيين أن يعرفـوا الـسلام الـذي يـأتي تمامًـا من خـارج نطـاق قواهم الخاصـة. في المـرض يمكنهـم تجربـة القـوة التـي لا يمكـن أن تـأتي إلا مـن الأذرع الأبديـة مـن تحتهـم. يمنـح الله نعمـة عنـد مـوت خاصته عندمـا ينتهـي دورهم على الأرض، لكنهـم لـن ينالـوا النعمـة إلى يلتقـوا بالرَّب

إن أعظم إستعراض للنعمة كان عندما أصبحَ ذلك الغني الذي يفوق غناهُ الحساب، أصبح فقيرًا إلى الحَدّ الذي مكَّنَ الخطاة غير المستحقين أن يستغنوا فوق ما يتصوَّرَهُ العقل

لقد كانت نعمة لا يُنطق بها تلك التي صلّاها من الجلجلة: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا٢٣:٣٤)

لقد كانت نعمة إلهية تلك التي دفعت الله إلى إرسال روحه القدُّوس مرة أخرى إلى نفس المدينة التي قُتل فيها إبنه المتجسِّد قبل وقت قصير

ولأن الله يمنح نعمة لا مثيل لها، فإنّهُ يمكن للمرنِّم أن يقول بكل بساطة أن أفكار الرَّب تجاه خاصته أكثر كثيرًا جدًا من رمال البحر. (مزمور١٣٩:١٧-١٨) وإلى السحاب أمانته. (مزمور٣٦:٥). كم يفرح المؤمنون لأنه لم يصنع معهم حسب خطاياهم، ولا يعاقبهم حسب آثامهم. (مزمور١٠٣:١٠) «لِأَنَّ مَرَاحِمَهُ لَا تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ» (مراثي٣:٢٢-٢٣)

إنها نعمة بلا حدود من الحياة الطبيعية إلى الحياة الروحية إلى الحياة الأبدية. وستكون النعمة موضوع التسبيح إلى أبد الآبدين

الفصل الرابع عشر

الآن دعونا نُلخِّص

والآن دعونا نستعرض أبرز النقاط المتمثِّلة في تأملنا بها في عظمة نعمة الله.

إنَّ السؤال الذي نتناوله أولاً هو هذا: عند وضع خطة الخلاص، كيف يمكن لله القدوس والعادل أن يغفِر للخطاة ويظل عادلاً في نفس الوقت؟

يكمن الجواب في كلمة واحدة، وهيَ، **البديل**. لقد أرسل الله إبنه الفريد، الرَّب يسوع المسيح، ليموت على صليب الجلجثة بديلاً عن الخطاة. لقد دَفَعَ المسيح العقوبة بالكامل وهو الآن يعطي الحياة الأبدية هبة مجانية لكل من يؤمن به.

هذه نعمة خالصة – وهيَ فضل الله غير المُستحقّ لأولئك الذين يستحقون العكس تمامًا. ولكي نُقدِّر هذه النعمة، علينا أن نُدرك من هو يسوع، وما فعَلَهُ؛ ومن الذين فعَل ذلك من أجلهم؛ والبركات التي تتدفق على أولئك الذين يقبلونه بالإيمان

لا يوجد سوى دِين واحد آخر في العالم. يُسمى إنجيلًا آخر، لكنه ليس خبرًا سارًّا على الإطلاق. إنه يُعلِّم أن الناس ينالون الدخول إلى السماء بصلاحهم أو إنجازاتهم. إنه الدِّين الأكثر شعبية لأنه يُلبِّي كبرياء الإنسان. وبالرغم من ادعاءاته العظيمة، فإنه لا يقدِّم ضمانًا للخلاص، أو الأمان الحاضر، أو الحياة الأبديَّة. لكنَّه في النهاية يؤدي إلى الهلاك في الجحيم

إنَّ الأشخاص الذين يخلُصون بالنِّعمَة يُنسِبون كل الفَضل للرَّب يسوع. أما أولئك الذين يؤمنون بالخلاص بواسطة الأعمال فهم يطلبون المجد لأنفسهم، ولو على الأقل جزئيًّا. بهذه الطريقة يمكنك معرفة ما الذي يبني عليه الشخص رجاءهِ للوصول إلى السماء

وعندما نقول أنَّ الخلاص ليس بالأعمال الصالحة، فهذا لا يعني أننا نعارض الأعمال الصالحة. إننا لسنا كذلك! لكن ما نريد التأكيد عليه هو أن الأعمال ليست أساسًا للخلاص؛ إنها ثمرة الخلاص. نحن لا نَخلُص بالأعمال الصالحة؛ لكننا نخلص لأعمال صالحة. إنها ليست السبب ولا الأساس بل النتيجة.

إنَّ السؤال الذي يَطرَح نفسه بطبيعة الحال هو التَّالي: إذا أخطأ الإنسان بعد أن يكون قد خلَصَ، فهل يخسر خلاصَه؟ إن الشهادة المتناسقة للكتاب المقدس والطبيعة الحقيقية للنعمة تتطلبان إجابتين بكلمة لا قاطعة. الخطيَّة تكسِر الشركة ولكن ليس العلاقة. الشركة هي خيط رفيع في حين أن العلاقة هي سلسلة غير قابلة للكسر. فما أن يعترف المؤمن بخطيَّته، يُغفَر له، وتُستَعاد الشركة مع الرَّب.

ليس كل من يدَّعي أنه مسيحي هو مُخلَّص بالفعل. إذا كانت الخطيَّة هي القوة المسيطرة على حياة ذلك الشخص، وإذا كان يسلك يوميًا في الخطيَّة، فهناك سبب وجيه للشك في حصول ذلك الشخص على الولادة الجديدة. قد يكون متعلمًا جدًّا ولكن ليس حاصلًا على الخلاص. ولكن عندما يَقبَل المسيح مخلّصًا وحيدًا، فهو قبِلَ الحياة، وهذا يُحْدِث فرقًا في حياته

بالنسبة لأولئك الذين يعترضون بالقول، أنَّ إنجيل النعمة هو إنجيل رخيص، يكفي أن نذكِّرهُم أنَّ الذي يقدم الهبة هو الذي دَفَع مقابلها، وليس من الذي يتقبَّلها. من طبيعة الهدية أنها تكلِّف المُعطي، وليس من يقبلها. لقد دفع الله، بصفته المانح، ثمناً باهظاً ليمنحَ الحياة الأبدية كعطية مجانية

ومثلَ كل الأشياء الجيدة، يمكن إساءة إستخدام النعمة، كما يمكن للناس استخدامها كذريعة للإنغماس في الشَّر. لكن في كل هذه الحالات، المشكلة تكمن في الإنسان الفرد، وليس في عقيدة النعمة

إنَّ النعمة، وليس الناموس، ما يكون أقوى دافع ممكن للحياة المقدَّسة. الناموس يطالب بالسلوك ويهدِّد بالعقاب عند الفشل. تخبرنا النعمة ما الذي فعله المسيح وتحثُّنا على حياة قداسة مماثلة. إن إله النعمة يضع المؤمن في وضعيَّة نعمة كاملة أمامه ثم يدعو إلى حياة تتناغم مع هذه الوضعيَّة. إن المشورة التفصيلية للعهد الجديد تِصف بوضوح ما هو السلوك المُستحِقّ

إن حياة أولاد الله هي إستعراض للنعمة الإلهية من البداية إلى النهاية. إنها إعلان من الله الذي لا يَدينُ للإنسان بشيء، بل يفيض عليه ببركات لا يمكن تصوُّرها. إنها قصة الرَّب الذي يعطي أفضل ما لديه لأولئك الذين لا يستحقون سوى دينونته.

لا يزال الله يبحث عن رجال ونساء يستطيع أن يُظهر لهم نعمته المذهلة. إنَّهُ إله كل نعمة الذي لم تردَعه قرونٌ من اللَّامبالاة والتردُّد والرَّفض البشري، لكنه لا يزال يرسل لنا الأخبار السَّارة ويَبْحَث عن الخراف الضَّالة. إنه يبحث عن أولئك الذين يعترفون بأنهم مذْنبون والذين سيتوقفون عن محاولة تخليص أنفسهم والذين سيؤمنون بيسوع كربّ ومخلِّص. إنَّ الأمر بهذه البساطة!

وتذكَّر هذا! أينما يجد الله شرارة إيمان حقيقي بالرَّب يسوع، فإنه سيَحسُب هذا الشخص بارًّا. كما قال إتش. أيرونسايد:

> «الله يَعتبر كثيراً جدًّا شخص إبنه وعمله حتى أنه سيَمنَح كل شخص في السماء أقل عذر ممكن للوصول به إلى هناك. يا لها من نعمة لا مثيل لها!»

إنَّ الفصل الأخير لم يُكتَب بعد. فالله طوال الأبدية سوف «يُظْهِرَ فِي ٱلدُّهُورِ ٱلْآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ ٱلْفَائِقَ، بِٱللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أفسس٢:٧). ستكشِف الأبديَّة خطته الرائعة للخلاص، وكل ما يعنيه له إرسال إبنه إلى أدغال الخطيَّة ليطلُب ويخلص ما قد هَلَك وليكشف كذلك عن كل البركات التي أتت إلينا من خلال هذا العمل البديع العظيم في صليب الجلجثة!

ينتهي الكتاب المقدس بكلمة نعمة، وكذلك نحن: «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ»

Emmaus عمواس

Middle East الشرق الأوسط